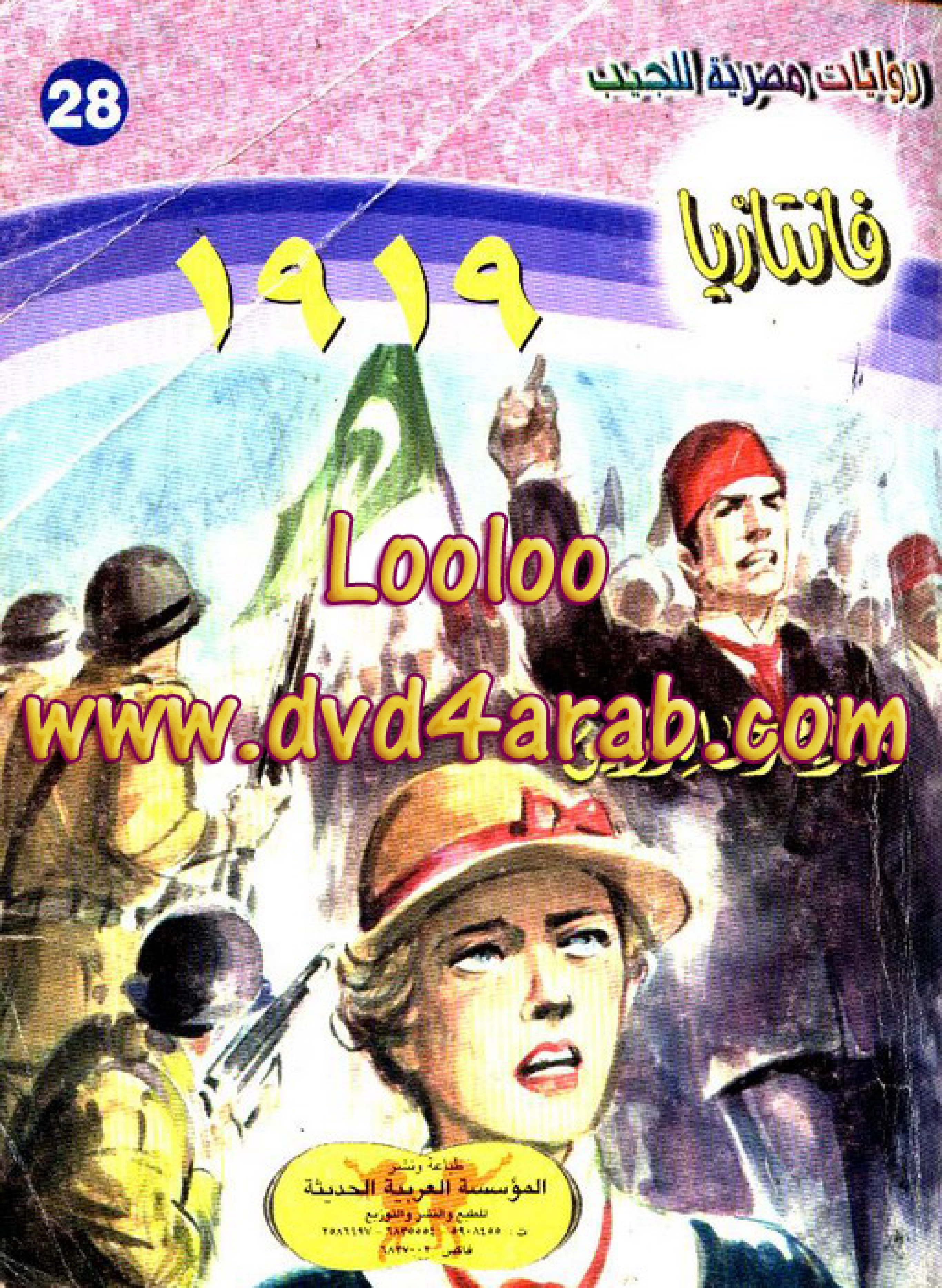


28
روايات مصرية للجيب
فانتازيا
١٩١٩
Looloo
www.dvd4arab.com
طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم ـ والأهم من هذا ـ العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيَّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ـ ١٩١٩

قالت له وهما يمشيان باتجاه قطار (فانتازيا) :

- « لو لم تكن (فانتازيا) لفقدت كل مبرر لى فى الوجود .. »

يقول لها وهو يداعب القلم بالطريقة المعروفة :

- « لو لم تكونى أنت لما وجدت (فانتازيا) .. لاتنسى أننا الآن نمشى فى أملاكك الخاصة .. »

تبتسم وتنظر للعالم الهائل المترامى الأطراف من حولها وتقول :

- « هل تريد رأيى ؟ أنا لا أصدق حرفًا .. كل هذا العالم أكبر منيِ ، ومن العسير أن يوجد لمجرد أننى هنالك .. أحيانًا أقول لنفسى إن (فانتازيا) أقوى منى وأكثر واقعية ، وإننى لو مت الآن فلن يشعر بى أحد هنا .. ستهطل الأمطار على مرتفعات (وذرنج) ،

ويحلق (سوبرمان) ، ويزحف الرجل الخفى بالضبط كما كانت الأمور دومًا .. من الغرور أن أعتقد أن الكون سيكف عن أن يكون كونًا يوم أرحل أنا ، ومن الحمق أن أحسب (فانتازيا) ستزول لو زلت أنا .. »

هز رأسه بسماجته المعتادة ، وقال وهو يعينها على الركوب :

- « هـذا تواضع محبب للنفس .. كثير من البشر يجد عسـرًا فى تصور هذه الحقيقة بالنسبة للعالم الواقعى .. أعتقد أن كل إنسان يحسب الشمس موجودة لأنـه يراهـا ، والأرض موجودة لأنـه يمشى عليهـا ، وبمجرد موته تزول مبررات وجود كل الموجودات .. لكن (فانتازيا) بالفعل عالم صنعته أنت .. لقد كتب الأدباء كثيرًا لكنك الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يمشى فى هذا العالم ، ولا أحسب التجربة قابلة للتكرار ما لم يتطور جهاز (دى ـ جى) أكثر من هذا .. يومها ستباع الأحلام عند البقالين ، وستكون لهـا تذاكر كتذاكر السينما .. »

- « سيحدث .. سيحدث .. الفكرة ليست بهذا البعد .. »

- « حتـى ذلك اليـوم .. أنـا موظف لديك ونحن نجول فى أملاكك .. فبم تأمرين ؟ »

* * *

قال لها وهما يركبـان قطـار (فانتازيـا) المضحك الشبيه بقطارات (ديزنى) :

- « أراك لم تبتـى فى الأمـر .. أتراك نمـت فى العسل ؟ »

- « بل تواريت بين عيدان الذرة ! »

- « أنا أتحدث عن ... »

- « وأنـا أتحـدث عـن نفس الشىء .. الآنسـة (رانيا راشد) مهندسة الكمبيوتـر الحسناء ، التـى قرر زوجى أن يهيم بها حبًا .. »

- « ولم تصلى لقرار ما غير التـوارى بين عيدان الذرة ؟ »

قالت فى لهجة حاولت أن تجعلها واثقة :

- « ما زال (شريف) ينكر .. وما زال يعرف كيف يجعلنى ألعب دور المجنونة الغيور .. لكنه سيقترف خطأ ما ، أو ستدفعه (المحروسة) إلى اتخاذ خطوة إيجابية .. عندها يعم الويل ! »

قال لها مترددًا بين وقاحة وتهيب :

- « هل أسألك سؤالاً ؟ »

- « سأموت كمدًا لو لم تفعل .. »

نظر إلى أنامل يده الطويلة النضيدة ، وقال :

- « أنت تخشين ما سيأتى .. الحاجة إلى المواجهة .. الخوف مما بعد ذلك .. أليس كذلك ؟ »

تبًا .. فى كل مرة يصيب الهدف تمامًا .. لِمَ لا ؟ أليس جزءًا من عقلها الباطن ؟ لِمَ لا ؟ أليس هو عقلها الباطن ذاته فى صورة إنسان ؟ تنهدت ونظرت خارج نافذة القطار وفكرت بعض الوقت ، ثم قالت :

- « إن المرأة تدفع أحيانًا ثمنًا باهظًا مقابل أن يكون لها بيت وأطفال .. هذا اعتراف مهين .. لكنك لست غريبًا .. أنت جزء من عقلى .. »

نظر خارج النافذة حين كان حشد من رجال الفايكنج يذبحون حشدًا من نساء الإنجليز .. وهى على ما يبدو من المشاهد المعتادة المملة لهذا العصر .. وقال :

- « هل ترين من الوقاحة أن أسألك عن الكرامة ؟ أم أنها جزء من ضريبة الاستقرار ؟ »

- « لا تسألنى عن الكرامة .. سأتولى أنا أمورى بنفسى .. لست طفلة معدومة الحيلة .. »

كانت قد بدأت تزداد عصبية ، وازداد اهتزاز ركبتها اليسرى مما ينذر بشر مستطير ، ورفعت إصبعًا مرتجفًا نحوه :

- « قل لى .. هل أنت متأكد من أنك برغم كل شىء تعمل عندى ؟ »

- « بالطبع .. ماذا تحسبين ؟ »

- « إذن آمرك أن تخرس ! لا تتدخل فى حياتى الخاصة ! »

* * *

قال لها وهما ينظران من النافذة حيث كانت مشاهد (فانتازيا) تتوالى :

- « هل أنت متأكدة من أنك لا ترغبين فى حضور انفجار بركان (فيزوف) ؟ إن سقوط (بومبيى) مشهد لا يمكن نسيانه .. أطنان من الغبار والحمم تنهال على رءوس الناس فيدفنون فى ثانية !! »

- « جميل .. أنا راغبة فى الترفيه لكن ليس إلى هذا الحد .. »

- « وماذا عن حرق (جان دارك) ؟ ومذبحة القلعة ؟ وماذا عن عالم الجنوب الأمريكى الخانق الذى عبر عنه (شتاينبك) فى رواياته ، و(وليامز) فى مسرحياته ؟ هل تحبين العلاقات الأسرية المتفسخة ؟ »

- « لا !! »

قالتها كأنها سدادة تحبس بها السائل الفوار فى زجاجة ، لكن هذه المحاولات تفشل غالبًا ..

فى النهاية رأت اللافتة المعهودة :

- « ألعاب تاريخية »

لقد جربت هذا الموضوع مرارًا ولم يكن يخلو من إثارة برغم مقتها العتيد للتاريخ .. هنا واجهت (هنرى الثامن) ، وحاربت الخناقين والحشاشين ، وواجهت الفوهرر .. ترى هل ما زال التاريخ يحوى أشياء تمتع ؟

قال لها (المرشد) بلهجة الترغيب :

- « هل تجربين حظك هنا اليوم ؟ »

- « لِمَ لا ؟ »

الطرابيش الحمراء فى كل صوب ، ولافتات .. ونسوة يرتدين النقاب الأسود .. وشاب محمول على الأعناق يهتف فى حماسة :

- « نموت .. نموت ويحيا (سعد) ! »

ثم يستحيل كل هذا جحيمًا وتصرخ النساء ، وسرعان ما يظهر الجنود .. الجنود شقر الشعور زرق العيون الذين يلبسون السراويل القصيرة .. الزى الرسمى للإنجليز فى مستعمراتهم الحارة ، ويصرخ أحد الضباط آمرًا الجند بفتح النار ، وتنهمر الطلقات .. إنه لمشهد لايصدق .. هى لم تعتد قط أن ترى الرصاص يطلق على مظاهرة بهذا الشكل الفج .. أين الغازات والعصى المكهربة والطلقات المطاطية ؟ الضحايا يتساقطون بالعشرات وتتبعثر الصفوف كأنما هى مياه جدول ألقى فيها طفل شقى بحجارته ..

تنقلب عربات الترام .. تسقط امرأة صارخة .. يقاتل شاب بقبضته .. قس يمسك بذراعه التى اخترقتها طلقة .. تشتعل النيران .. تنهمر الطلقات .. تولول امرأة .. يمسك رجل بصدره .. يلوح آخر بعلم .. إنجليزى يطلق السباب .. جندى إفريقى يعيد تعمير بندقيته .. حصان السوارى يتعثر .. دخان .. نار .. موت .. طلقات .. رصاص .. رصاص ..

لكن المرشد يقف ثابتًا يتابع كل هذا فى هدوء لايخلو من استمتاع ..

ـ « ما هذا كله يا (مرشد) ؟ »

مد يده فى الهواء ليلتقط رصاصة عابرة .. تأملها ثم ألقى بها أرضًا وقال لها :

ـ « هذه ثورة 1919 .. ظننت هذا واضحًا .. »

ـ « حسبتك أخذتنا إلى الجحيم .. »

ـ « لا أرى جحيمًا فى الأمر .. هذه أمة تحاول الدفاع عن إرادتها .. هذه لحظات مقدسة .. وفيما بعد سيذكر التاريخ أن هذه أول ثورة حقيقية يقوم بها الشعب المصرى .. »

صفرت رصاصة جوار أذنها ، ثم طار جندى بريطانى ملطخًا بالدماء ليسقط عند قدميها فتراجعت للوراء وواصلت السؤال :

ـ « ليست أول ثورة .. هناك هوجة (عرابى) كما يسمونها .. أنا لم أنس التاريخ بعد .. »

- « يرى المؤرخون أن هوجة عرابى كانت من قلب الجيش ومن أجل تحسين حالة الجيش .. أما هذه الثورة فولدت من الشارع .. من الفلاحين والموظفين والطلبة .. إنها ثورة بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وقد أحدثت أعاصير فى كل شىء .. فى السياسة .. فى الأدب .. فى الفن .. فى طريقة تفكير الناس .. والجدير بالتأمل أن (غاندى) فى الهند درسها بعناية ؛ لأنها كانت ثورة ضد عدو مشترك : الإمبراطورية الإنجليزية .. »

ضمت ياقة ثوبها على عنقها كأنما البرد يمزقها ، قالت راجفة :

- « هذا الزمن خطر .. »

نظر لها فى ضيق وقال :

- « نعم هو زمن خطر لكنه شديد الأهمية ، ومن المفيد أن تجربى أماكن كهذه من وقت لآخر .. لن تقضى حياتك فى ارتياد عوالم (ميكى ماوس) .. »

- « ومن قال إن (ميكى ماوس) تافه ؟ »

- « ومن قال إن ثورة 1919 غير جديرة بالتجربة ؟ »

هنا هوى أحد الجنود بدبشك بندقيته على رأس أحد مشايخ الأزهر الشباب ، فانحنى قس شاب يعينه على النهوض .. قال لها المرشد :

- « هذه فرصة أخرى لترى هذا المشهد الجميل التلقائى .. وهو أكثر تأثيرًا مما ترينه فى المناسبات الرسمية على شاشة التلفزيون .. الهلال والصليب يواجهان الرصاص معًا ويجرحان معًا من أجل أن يرحل الأخ (جون بول) .. »

ثم أخرج القلم الممل كعادته وراح يداعبه ، وقال دون أن ينظر لها :

- « على كل حال .. أنت صاحبة الشأن .. لو شئت أن نجرب شيئًا آخر ... »

رفعت كفها تدعوه إلى التريث وقالت :

- « وما هو دورى هنا ؟ هل سأكون واحدة من هاته المتظاهرات ؟ »

حك شعر رأسه بالقلم وقال :

- « بل الصحفية الإنجليزية (دوروثى ثورنوايلد) .. ظننت هذا واضحًا .. إنك تسألين أسئلة غريبة اليوم .. »

حركت شفتيها محاولة حفظ الاسم :

- « (دوروثى ثو ...) .. يا له من اسم ! كيف يمكن حفظه ؟ »

- « لا توجد خيارات أخرى .. لو أنك أمعنت التفكير لوجدت أنك لايمكن إلا أن تكونى (دوروثى ثورنوايلد) .. »

- « ولماذا أواجه ثورة 1919 وأنا إنجليزية ؟ ألم يكن من الأسهل أن أكون واحدة من المتظاهرات ؟ »

قال وهو يعيد القلم إلى سترته :

- « إن دورهن بسيط ومحدد سلفًا : الثورة .. هذا يجعل منهن شخصيات أحادية مسطحة لا تصلح مادة ثرية للدراما التى ترغبين فيها .. أما كونك

إنجليزية فى بلد ثائر ضد الإنجليز فهذا حافل بالاحتمالات .. هذا هو الصراع .. الجدل .. الدياكتيك .. »

صفرت رصاصة أخرى جوار رأسه فمال بعنقه إلى اليسار ليتقيها وقال :

- « هنا يبرز جانب آخر من الموضوع : الطريقة الوحيدة التى تحميك من رصاص الإنجليز هو أن تكونى إنجليزية ! وأنا مسئول عن بقائك حية .. »

ثم ربت على كتفها باسمًا :

- « مس (ثورنوايلد) .. لقد وضعتك على الطريق الصحيح .. والآن أتمنى لك مغامرة طيبة .. »

- « ولكن ... »

لكنه كان قد ذاب وسط الجموع ...

* * *

هزّ الهلال يا سيد .. كراماتك لاجل نعيّد

ده الموظف منّا مش حِمل خناق ولا شومة

لما يحمّر عينه .. ولا يقوّم له قومة

حد الله ما بينى وبينك غير حب الوطن يا حكومة ..

* * *

٢ ـ ثلاثة رجال ..

رحب بها السير (ريجينالد) بشدة ، ودعاها إلى الجلوس .. وانحنى ليطبع قبلة على أناملها ..

كانت الآن فى ثياب (الشغل) المعهودة فى (فانتازيا) .. وهى ثياب يمكن أن أصفها باختصار شديد بأنها ثياب صحفية إنجليزية من العام 1918 .. وبالطبع كانت جميلة .. لا أعرف لماذا يجب أن تكون كذلك ، لكن هذا على سبيل الاختلاف فى كل شىء ، لأن من العسير وصف (عبير) بالجمال فى عالم الواقع ..

السير (ريجينالد وينجيت) هو المعتمد البريطانى وهو منصب بالغ الأهمية للمستعمرات ، وباختصار شديد أيضًا نقول إنه هو الاستعمار البريطانى يمشى على قدمين .. واليوم ـ 13 نوفمبر 1918 ـ يوم مهم جدًا فى تاريخ مصر ، لكننا لن نستبق الأحداث .. دعونا نصغ على مهل ..



السير (ريجينالدوينجيت) هو المعتمد البريطانى وهو منصب بالغ الأهمية للمستعمرات ..

قال لها وهو يشعل سيجارًا غليظًا :

- « مس (ثورنوايلد) .. إن الصحف لا تصلنا بانتظام ، لكنى مولع بقراءة مقالاتك .. »

وأشار إلى جندى إفريقى يقف متصلبًا كالباب ، كى يجلب لهما ما يُشرب .. ثم سألها :

- « هذه زيارتك الأولى إلى مصر ؟ »

قالت له فى كياسة :

- « نعم .. وهى بلد جميل .. »

- « نحن جعلناه جميلاً .. وهذا هو عبء الرجل الأبيض White man`s burden .. هذه شعوب تحبو فى أولى درجات الحضارة ، ولابد من أن يعنى بها أحد .. والثمن الذى تدفعه تلك الشعوب هو التخلى عن بعض الثروات التى لاتعرف كيف تفيد منها .. لا أريد أن أكون قاسيًا فى تشبيهى، لكن الخراف لاتعرف كيف تغزل صوفها .. لابد من راع ليفعل هذا .. مقابل هذا هو يأخذ الخراف إلى المرعى ويمنحها الأمان من الذئب .. »

وافقته من سويداء قلبها وأثار هذا رعبها .. لم تعرف أنها استعمارية إلى هذا الحد إلا الآن .. ثم فطنت إلى أنها فقط تؤدى دورها بأمانة .. إنها صحفية بريطانية ، فليس أقل من أن تفكر كصحفية بريطانية !

- « نعم .. نعم .. خراف .. »

قال وهو ينفض الرماد فى المطفأة :

- « لقد انتهت الحرب كما تعرفين .. وعاد الاستقرار إلى البلد .. نحن اليوم فى مرحلة جنى الثمار .. »

والثمار التى ينتظرها كانت فى الطريق .. كان هناك ثلاثة من المصريين فى الطريق الآن للقائه .. والسبب ؟؟ لم يكن يعرفه لكنه سمع عن أحد الرجال وهو سياسى مصرى لا بأس به اسمه (سعد زغلول) ..

دقت الساعة الخامسة ، وجاء من يعلن أن السادة المنتظرين قد جاءوا ..

ورفعت (عبير) عينيها للمرة الأولى كى ترى الرجل

الأسطورة .. لم يكن قد صار أسطورة بعد ، لكنه كان محاميًا ناجحًا ثم وزيرًا ثم عضوًا فى البرلمان .. من اللحظة الأولى أدركت أن له شأنًا عظيمًا .. هذا هو التأثير الذى يسمونه (أومف) فى هوليوود ، ويسمونه (كاريزما) فى العلاقات العامة .. هل هو الطول الفارع؟ هل هى الملامح الصارمة النافذة ؟ هل هما العينان الثاقبتان اللتان تخترقانك إلى أعمق الأعماق ؟ هل هو ... كل شىء فيه ؟ لو لم يكن هذا الرجل زعيمًا لاعترفت بأنها لا تفهم شيئًا ..

وإذ قدم الرجال أنفسهم ، عرفت أن زميلى الرجل يدعيان (على شعراوى) و (عبد العزيز فهمى) ..

رحب المعتمد البريطانى بالرجال بشىء من الفتور ، ثم أعلن أن وقت تناول الشاى قد حان .. إن هؤلاء الإنجليز بناة الإمبراطورية لايتغيرون ، وتمسكهم بالتقاليد لايتزحزح .. من العسير على المرء أن يصدق أنهم مازالوا يوقفون رجلاً على ضفة (المانش) حتى اليوم كى ينذرهم إذا جاءت أساطيل (نابليون) ! لكنها الحقيقة !

همس المعتمد فى أذنها وهما يتجهان إلى المائدة الصغيرة الموضوعة فى الشرفة :

- « إن طقوس الشاى هى محك التحضر عندى ، وسرعان ما نعرف إن كان هؤلاء همجًا أم راقين .. هذا هو اختبارى الأول .. »

ونجح الرجل فى الاختبار لأنه جذب لها مقعدًا كى تجلس ، وانتظر حتى استراحت فى مجلسها ثم جذب مقعدًا مع رفاقه .. وراحوا (يمارسون) طقوس الشاى برقى لا شك فيه .. لابد أنهم تشربوا أكثر من اللازم من حضارة الغرب ..

قال السير (ريجنالد) وهو يداعب شاربه الذى برم طرفيه لأعلى على طريقة (أبو زيد الهلالى) :

- « (سعد) باشا .. أنا مسرور لقدومك هنا .. إن حكومة بريطانيا لتسعد بالتعامل مع مواطنى المستعمرات .. »

قلب (سعد) الشاى بملعقته وبدا كأنما يبحث عن رد مناسب ، ثم عدل عنه ، وقال :

- « إن الحرب انتهت يا سيد (وينجيت) .. »

كان صوته عميقًا مؤثرًا جديرًا بخطيب .. يبدو أن القدر لم يدخر علاقة ما تشير إلى شأن هذا الرجل ..

هنا نتوقف ـ كالعادة فى (فانتازيا) ـ كى نضع بعض النقاط على الحروف .. لو كان من يقرءون هذا الكلام من مواليد أول القرن العشرين فلا حاجة بهم إلى قراءة الفقرة التالية ، أما لو كانوا مثلى ومثلك فالاستطراد ضرورى ..

* * *

الحرب العالمية الأولى ..

هذه حرب شاملة .. حرب حارة الوطيس .. حرب قذرة لو تذكرنا أن الغازات السامة والجراثيم استعملت فيها بحرية مما جعل الجميع سعداء .. (بريطانيا) تحتاج إلى مصر بشدة كقاعدة هجومية .. مصر التى كانت من أملاك الإمبراطورية العثمانية وقتها .. لهذا أعلنت بريطانيا فرض حمايتها على مصر ، وانتزعتها من

تركيا انتزاعًا ، وتحولت البلاد إلى خلية نحل من كثرة من فيها من جنود بريطانيين ، وكان الفلاح المصرى ـ كالعادة ـ هو أول الضحايا ، لأن البريطانيين أرغموه على حفر الخنادق ودفع تكاليف الحرب و ... و ... وهى عادة استنها المماليك ولم تتوقف من حينها ..

أربعة أعوام واجه فيها المصريون أهوال الحرب مرغمين مع الضيف الثقيل الذى استولى على دارهم عنوة .. وتطلعوا جميعًا إلى يوم الخلاص ..

الآن انتهت الحرب وأعلن (ويلسون) الرئيس الأمريكى أن الكل أخوة ، وأن شعوب الأرض يجب أن تبدأ عهدًا جديدًا من الرخاء والسلام .. وصدق المصريون هذا وحسبوا أن الوقت قد جاء كى يتخلصوا من البريطانيين ، ويبدءوا عهدًا من الاستقلال ..

وهنا تبرز أسماء بالغة الأهمية مثل (عدلى) و (رشدى) و(سعد زغلول) ..

نحن الآن فى اللحظة التى يتوجه فيها (سعد زغلول)

إلى المعتمد البريطانى طالبًا السماح لهم بالسفر إلى فرنسا ، حيث مؤتمر الصلح فى (فرساى) ، وحيث يتم تقسيم كعكة السلام والرخاء على كل الشعوب التى أضيرت من الحرب ..

لم يكن (سعد) يطلب .. بل كان يقرر ..

* * *

قال السيد (وينجيت) :

ـ « لا شأن لكم بموضوع مؤتمر الصلح .. إن هذه قضايا فرعية يمكن أن نسويها معًا .. شئون داخلية للإمبراطورية البريطانية مع رعاياها .. »

قال (سعد) فى إصرار :

ـ « كان هذا مفهومًا فى أثناء الحرب ، وكانت الضرورات تبيح المحظورات .. أما الآن فلم يعد ثمة مبرر لبقاء مصر تحت سيطرة التاج البريطانى .. لقد أعلنت بريطانيا الحماية على مصر دون أن تستشار مصر فى الأمر .. وبالتالى هى حماية باطلة قانونًا .. »

اتسعت عينا السير (وينجيت) واحمر وجهه أكثر من ذى قبل ، و(خنفر خنفرة) شديدة .. هذا كلام خطير ، والأخطر أن يقال أمام الصحفية ليجده منشورًا بعد أيام فى جرائد الأحد بالوطن ..

قال فى كياسة :

- « لقد سبق وأن طلب رئيس الوزراء (رشدى) ووزيره المختار (على) الشىء ذاته ، ولكن بطريقة أقرب إلى فهمى .. إنهما يسلمان بسلطتنا لكنهما يطلبان دستورًا .. »

ارتجف شارب (سعد زغلول) الكث انفعالاً وتصميمًا وقال :

- « أما نحن فى الوفد فنطلب شيئين : الاستقلال والدستور .. لا شىء يغنى عن الآخر .. »

نظر له (وينجيت) فى إمعان .. هذا الرجل من الأبطال .. إنه يعرفهم ويشمهم فى الهواء على بعد أمتار .. لكن (بريطانيا) لاتهاب الأبطال .. إن القبور تعج بهم .. لا أحد يجرؤ على تحدى التاج خاصة إذا كان فلاحًا مصريًا ..

وقال (على شعراوى) :

- « نحن نريد صداقة الإنجليز ، لكن صداقة الحر للحر لاصداقة العبد للحر .. »

وقف المعتمد البريطانى فى حزم وقال :

- « (سعد باشا) .. لقد سمعت وجهة نظرك وهى مرفوضة جملة وتفصيلاً .. أعتقد أنه لامبرر لاستمرار هذا الاجتماع ، لكن دعنى أؤكد لك إنك لا تملك الحق فى الكلام نيابة عن رعايا التاج فى هذا البلد .. »

نهض (سعد) وتناول معطفه الأنيق الذى كان قد خلعه عند الجلوس ، وهز رأسه لـ (عبير) فى تهذيب ثم انصرف ومعه زميلاه ..

قال لها السير (وينجيت) متبسطًا وقد لاحظ توترها :

- « هذا لا شىء .. مشكلة يومية من التى تواجهنا هنا .. إننا نعرف كيف نتعامل مع هؤلاء .. إن ضرب الرأس فى الحائط هواية محببة لسبب لا أدريه ، لكنهم يتلقون العقاب فورًا .. »

قالت شاردة الذهن وهى ترمق الرجل يبتعد بقامته الفارعة :

- « ما الذى يمنح هذا الرجل الحق فى الكلام عن المصريين ؟ »

- « إنه وكيل الجمعية التشريعية .. وهو يعتقد أنه يملك حق التفاوض بهذا .. لا ألومه على هذا كثيراً .. »

- « هل من حق المصريين المطالبة بالاستقلال ؟ »

أشعل سيجاره وقال وقد غاب وسط الدخان الكثيف حتى لم يبق إلا صوته :

- « ليس لهم أى حق .. إن بريطانيا لا يمكن ابتزازها ، ولا تعطى من الحقوق إلا بقدر ما هو مهم لصالحها .. وعلى كل حال ، إن كثرة الطعام الذى يقدم للطفل كفيل بأن يقتله من التخمة .. »

ثم أشار إلى الجندى الواقف متخشبًا فى ركن القاعة ، وأردف بلهجة قاطعة :

- « ... هذا وإلا ... »

* * *

٣ - اشتعال ...

ظلام .. ظلام فى كل صوب ..

لكنه ليس ذلك الظلام المتجانس المحبب للنفس ، بل هو ظلام تنبض فيه ألف شمس .. خضراء .. صفراء .. حمراء .. زرقاء .. أشياء ترقص أمام عينيها وتجعل الفهم مستحيلاً ..

لم يكن التشخيص صعبًا .. أنا كنت فاقدة الوعى ، والآن لم أعد كذلك .. لكن من فعلها ؟

* * *

فى الأيام التالية عرفت صحفيتنا الحسناء أن (سعد) ورفاقه خرجوا من دار المعتمد البريطانى عازمين على أن يبرهنوا على أنهم يمثلون الأمة ..

عرفت مصر أكبر حملة لجمع التوقيعات من كل مكان ..

من الأعيان .. من أعضاء الجمعية التشريعية .. من علية القوم .. من القرى والأزقة .. باختصار من كل مكان فى مصر .. كانت التوقيعات توكل (سعد) ورفاقه للتفاوض باسم الشعب المصرى من أجل الاستقلال ..

الحقيقة أن (عبير) لاحظت أن الشرارة بدأت تمشى فى الفتيل .. لاحظت أن الوهج يتزايد وأن الفتيل يقود إلى برميل البارود المسمى الثورة .. هذه الظواهر تحدث فى كل مكان قبل الثورات ، وأمكنها بسهولة أن ترى أن المياه تغلى .. لكن السير (وينجيت) كان واثقاً من أن هذه مجرد زوبعة ستنتهى بمجرد أن يرى هؤلاء العين الحمراء ..

* * *

تمشى حائرة فى شوارع القاهرة الباردة ـ لاتنس أننا فى الشتاء الآن ـ تضم معطفها على جسدها وتنظر للناس ..

نظرات الاستغراب والدهشة تلاحقها ، فلم يعتد الناس

أن يروا فتاة إنجليزية تمشى على قدميها .. لكنهم يقبلونها على الفور كمعجزة من المعجزات التى لاتفسير لها وينصرفون ..

عربات تجرها الخيول تركض من حولها ، وصوت فرقعة الكرابيج ونداء الباعة على بضاعتهم ، ونساء يضعن النقاب على وجوههن يتفحصون الأقمشة لدى دلالة جالسة على مدخل السوق .. والدلالة تغلظ الأيمان أن هذا الحرير أصلى وارد بلاد اليابان ، وأن هذا الخال الذى فى كاحل الزبونة لايساوى شيئاً بالنسبة لما تعرضه هى ..

اقتربت من إحدى العربات الواقفة على جانب الطريق .. كان هناك قدر كبير يتصاعد منه البخار ، وثمة أكوام من الخبز الأسمر وكومة من البصل وأطباق خزفية صغيرة .. زجاجات يبدو أنها تحوى الزيت والتوابل .. وما هذا بالضبط ؟

لم تكن لديها أية فكرة عن الأطعمة الشعبية فى مصر ، ولم تسمع إلا عن الكباب ، حتى اعتقدت أنه طعام المعدمين ..

هل يليق بآنسة إنجليزية أن .... ؟ ماذا عن كرامة التاج ؟ المفترض ألا يراها أحد وهى تفعل ما ستفعله ..

دنت من البائع ، وبالعربية التى بدأت تعرف بعض عباراتها سألته :

- « ما هذا ؟ »

رفع الرجل عقيرته كأنما يتغنى بأغنية عشق :

- « فوول مدمس ! زبدة .. فزدق .. »

كانت تعرف الفول طبعًا ، بل إن كل خلية من خلاياها كانت تحمل حبة فول بدلاً من النواة ، لكن (فانتازيا) جعلتها تمر بحالة مؤقتة من فقدان الذاكرة .. وهكذا نظرت فى فضول إلى القدر وهى تشب على أنامل قدميها .. وأوشكت أن تسأل : هل هو يؤكل ؟ لكنها وجدت أن هذه مبالغة فى التحذلق ..

طلبت من الرجل أن يعطيها طبقًا .. فراح فى تلذذ يصب عدة أشياء فى طبق خزفى صغير ، وهو ينظر لها من حين لآخر فى تهكم .. لسان حاله يقول : ياله

من زمن ! ماذا تعرفه هذه الخواجاية عن الفول ؟ إنها لم تصل لهذه الدرجة من الرقى الثقافى ..

كانت تريد أن تجرب كل شىء بحاسة صحفية أصيلة ، ولم تكن هناك أشواك ولاملاعق .. فتناولت لقمة غمستها فى المادة الغريبة ، وراحت تلوك فى حذر .. ما الذى يأكلونه فى هذا الشىء ؟ لم يرق لها قط ، وأحست أن خلايا لسانها الأنجلوساكسونية ترفض الاستمرار .. لكنها كانت تشعر بالحاجة إلى النفاذ إلى روح هذا البلد .. ومن العسير أن تنفذ إليه وهى لاتأكل إلا الخبز المقدد واللحم فى الإفطار ..

كان هناك الآن موكب من أولاد البلد والفضوليين والأطفال يقفون حولها يراقبون هذا السيرك .. ومر بضعة جنود أستراليين من بعد رأوها فناداها أحدهم :

- « هل تريدين مساعدة يا آنسة ؟ »

- « لا .. شكرًا .. »

فابتعد الرجال وهم لايبعدون نظرهم عنها .. هذه

الفتاة مجنونة أو بلهاء .. لاشك فى هذا .. دنا منهما أحد الشبان يحمل ورقة وقلمًا ، ووجه سؤاله إلى البائع أولاً :

ـ « هل تبصم أم .... ؟ »

هع هع هع ! ضحك البائع ضحكة أولاد البلد التى تنتهى ـ على الأرجح ـ ببصقة .. إن الكتابة بالنسبة له عمل مهين ينتقص من قدر الرجال .. لوث إبهامه من الهباب المتراكم أسفل قدر الفول ، وبحذر ألصقه على الورقة وضغط جيدًا ..

ـ « والآنسة ؟ »

قالها الفتى وهو ينظر فى حذر إلى (عبير) التى امتلأ فمها بالفول ، وتلوثت شفتاها بالزيت الحار ، فقال البائع :

ـ « هذه ليست تبعك .. إنها حماية ولربما مدت يدها لتمزق هذه الورقة .. كم توكيلاً جمعت يا فندى ؟ »

ـ « خمسمائة إلا قليلاً .. »

قالها الفتى وهو يمد يده ليلتقط بصلة خضراء من على العربة ، فيحش نصفها فى قضمة واحدة وينصرف ليبحث عن التوكيل الخمسمائة .. قال البائع وهو يتابعه بعينيه :

ـ « معلش .. إنه يدور يجمع التوكيلات منذ الصباح ، ولعله على لحم بطنه .. مسكين ! »

سألت البائع وهى تدس لقمة أخرى فى فمها :

ـ « هل تحب (سعد باشا) ؟ »

نظر لها فى حذر ، ثم غلبه التحدى وقال :

ـ « طبعًا .. أحبه .. كلنا نحبه .. ولسوف ينصره اللّه .. »

وتدخل أحد الواقفين المطربشين وهو شاب نحيل يضع العوينات ويطوى تحت إبطه جريدة ، وقال بالإنجليزية :

ـ « أنتم الإنجليز تحاربون الزمن .. لقد ولى عصر دبلوماسية مدافع الأسطول وحان الوقت كى يحكم كل شعب نفسه بنفسه .. »



وكانت تعرف أن ثقافة هؤلاء الواقفين لا تسمح لهم بإدراك الفارق بين الكنتين ..

ابتسمت فى ثقة وقالت :

ـ « هل كتب على جبينى أننى إنجليزية ؟ »

ـ « ظننت هذا واضحًا .. »

ـ « أنا أمريكية .. »

وكانت تعرف أن ثقافة هؤلاء الواقفين لا تسمح لهم بإدراك الفارق بين اللكنتين .. وكانت أمريكا فى هذا العصر محايدة مسالمة تطالب بأن تتحد شعوب العالم تحت مظلة السلام ، وكان الكثيرون يحبونها .. لهذا اعتذر لها الرجل عن سوء الظن .. وقال للرجال الواقفين وهو يلوح بالجريدة التى فى يده :

ـ « هل تعلمون ؟ لقد ألقى (سعد) خطابًا فى دار جمعية الاقتصاد والتشريع .. وقد رد به على (برسيفال) الذى رأى أنه ليس للمصريين حقوق .. لقد أعلن (سعد) انتهاء الحماية البريطانية ، وقال .. »

وفتح الرجل الجريدة ليكرر ما قاله سعد حرفيًا :

ـ « .. فى سنة 1914 أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر من تلقاء نفسها ، بدون أن تطلبها الأمة المصرية أو تقبلها .. فهى باطلة لا وجود لها قانونًا .. بل هى من ضرورات الحرب تنتهى بانتهائها ، ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة .. »

ـ « اللَّه أكبر ! سلم فمه ! »

وتصاعدت صيحات الحماسة فانكمشت (عبير) / (دوروثى) فى ثيابها الأنيقة .. هذا الجو المكهرب بالشوفينية يعنى أن أحداثًا جليلة فى الطريق .. وهى تعرف قومها الإنجليز وتعرف عنادهم وتعاليهم .. لن يسمحوا بشىء من هذا .. لن يسمحوا إلا بما يمكن أن يسمحوا به .. باختصار : لا شىء .. إنهم ينظرون إلى المصريين نظرتهم إلى قبائل (ماو ماو) التى لا تعرف ما يفيدها ، ويجب أن تحكم بالرصاص .. هذا مع احترامى التام لقبائل (ماو ماو) التى لها الحق الكامل فى الحياة كما تريد .. أليسوا بشرًا ؟

هى تعرف أن صدام الجبابرة قادم لا شك فيه .. الغضب والحماسة المصرية مع القوة والسلاح البريطانى .. صدام كصدام النيازك سوف يتطاير منه اللهب فى كل مكان مع الغبار الكونى والصخور .. إنه الويل !

وقال أحد العامة يكلم الآخرين :

ـ « لقد أنذر (سعد) الملك (فؤاد) إذ حاول أن يشكل وزارة جديدة .. أرسل له كلمات ملتهبة تنصحه بألا يقف أمام إرادة الأمة ، وأن يركز جهده على الاستقلال .. »

ـ « اللَّه أكبر !! »

سألت الرجل المطربش وهى تزدرد ما بقى فى فمها من فول :

ـ « هل (سعد) قوى إلى هذا الحد ؟ »

ـ «ليس الموضوع موضوع قوة .. إنه موضوع إرادة .. والإرادة تهب القوة .. لقد كان (مصطفى كامل) بطلاً

رومانسيًا متحمسًا اشتهر بخطبه النارية ، لكنه لم يجد الفرصة لتغيير شىء ، وجاء من بعده (محمد فريد) الذى كان يعرف الحل الصحيح ، لكنه لا يعرف السبل التى تحققه ، ولهذا أصابه الاكتئاب والإحباط .. والآن جاء الرجل الذى يعرف ما يريد فى اللحظة التاريخية المناسبة ، والآن تقف الأمة كلها معه .. ولن تجدى من يقبل أن ينضم إلى الوزارة الجديدة .. هذا هو العصيان المدنى .. »

* * *

فى يوم 9 مارس عام 1919 كتبت (عبير) لقرائها عبر البحار :

« كما تعرفون توالت الأحداث بسرعة فى مصر .. لقد استدعى قائد الجيوش البريطانية (سعد باشا) وطلب منه أن ينهى العصيان المدنى ، لكن (سعد) أصر على موقفه ..

« الشعب المصرى متمسك بـ (سعد) ورفاقه ويعتبرهم (وفدًا) مكلفًا بالكلام باسمه فى باريس ..

« لا أحب هذه الأفعال ، لكن المعتمد البريطانى لم يجد أمس إلا أن يأمر باعتقال (سعد) ورفاقه ونفيهم .. إنهم مصدر العدوى وسط التفاح .. ومن الخير إبعاد هذه التفاحات الفاسدة كى لا تفسد السلة كلها ..

« تم هذا عصر أمس ـ 8 مارس 1919 ـ وكانت استجابة الشرطة سريعة ..

« توجهت قوة من الشرطة إلى منزل الرجل ، واعتقلته .. كانت القوة تكفى لاحتلال (الصين) لو أرادت ، وبدا لى أنه من السخف أن يرسل كل هؤلاء لاعتقال رجل مسن وحيد ، لا يملك إلا الإصرار .. لكن المعتمد البريطانى السير (وينجيت) رجل كفء بالتأكيد ، ويعرف متى يكون الخطر خطرًا ..

« من منزل الرجل اتجهت القوة التى تصلح لاحتلال الصين ، إلى ثكنات قصر النيل ، حيث احتجز هناك مع ثلاثة من رفاقه ، هم (حمد الباسل) و (إسماعيل صدقى) و (محمد محمود) .. ومن حسن حظ رجال الشرطة أن قليلين من الناس عرفوا بما حدث ..

« وفى اليوم التالى تم وضع الرجال الثلاثة على سفينة وتم نفيهم إلى (مالطا) ..

« بهذا تمكن المعتمد البريطانى من الخلاص من المشكلة ، وخاصة أن القوى الوطنية الباقية يمكن التفاهم معها .. فهم فريق (دستور - لا - استقلال) .. الذى يؤمن أن كل شىء يمكن التفاهم عليه تحت ظل التاج ..

«فى اليوم ذاته اشتعل العصيان فى أرجاء البلد .. »

نلاحظ هنا أن (عبير) استعملت لفظة (ثورة) لا (عصيان) ، لكن الرقيب الإنجليزى أصر على استبدال لفظة (عصيان) بها ، وهذا واضح فى كل ما كتب عن ثورة 1919 لدى البريطانيين حتى اليوم .. لم يطلق عليها مؤرخ واحد اسم (ثورة) .. كما يصر الإسرائيليون على تسمية الانتفاضة باسم (العنف) ، وتسمية الفدائيين باسم (المخربون) ..

نعود لكلام (عبير) لصحيفتها :

- « بدأ كل شىء بإضراب الطلبة فى مدرسة الحقوق ،

ثم امتد الإضراب إلى كافة المدارس والمعاهد . ومن (بورسعيد) ومن (دمياط) ومن (أسوان) ومن (المنصورة) ومن القاهرة خرجت الجماهير فى الشوارع معبرة عن غضبها .. سبقت هذا حملة توعية نفسية عالية المستوى قام بها رجال الدين : الشيوخ والقساوسة ، وتحولت الشوارع إلى جحيم ، وصار كل من يحمل ملامح أجنبية فى خطر ..

« لم يجد رجال الشرطة الأعداد الكافية منهم للسيطرة على زخم الجماهير ، وكان السلاح هو الحل الوحيد .. انطلقت الرصاصات تحصد الناس ، لكن البنادق كانت تفرغ فى لحظة ما ، عندها تتقدم الجماهير ماشية فوق من أطلقوا عليها الرصاص .. حتى النساء خرجن من ديارهن للمرة الأولى مرتديات ثيابهن السوداء المميزة ، وهن يحملن أعلام الثورة .. وذلك الشعار الذى صار أشهر من نار على علم : الهلال مع الصليب ..

« إن حكومة التاج تواجه خطرًا لا شك فيه ، لكنى أثق بحكمة السير (وينجيت) وقدرة رجالنا الشجعان

على السيطرة على الأحداث ، وعلى احتواء هـذه النار قبل أن تلتهم كل شىء .. »

قرأ السير (وينجت) هـذا الكلام فى الصحيفة وقال لها :

- « لا أدرى .. لو أن أحدًا من هؤلاء المتمردين كتب عن الموضوع لما كتب غير هذا .. يصعب على أن أحدد انتماءك من مقال كهذا .. كنت أتمنى المزيد من عبارات السباب .. هل تفهمين ما أعنيه ؟ »

قالت باسمة :

- « أنا أحكى ما أراه فقط .. وليس على أن أثبت ولائى بأن أشتم المصريين وأتهمهم بأنهم رعاع وأوباش وما إلى ذلك .. هذا ليس عمل المراسل الصحفـى .. إن هناك معلقين سياسيين سيقومون بهذه المهمة !؟ »

سرعان ما تعطلت المواصلات عن العمل ، وغـادر الموظفون مكاتبهم ، ثم أضرب العمال والمحامون و ..

* * *

والكناسون أيضًا رأسهم وألف مقشة ..

لا يكنسون كنسة ولا يرشون لنا رشة ..

* * *

وما لم تقله (عبير) هو أن المظاهرات - بشكل فطرى غير مقصود - كانت تتجـه إلى بيت (سعد زغلول) الذى صار اسمه (بيت الأمة) ..

ويمكن لنـا أن نتصـور هـول تلك الأيـام ، إذا ما تذكرنا أن عدد الشهداء كان نحو ثلاثة آلاف ! حقًا لم يقتصد الميجور جنرال (واطسون) - الحاكم العسكرى - ولا رجاله فى الطلقات ولم تقتصد مصر فى تقديم صدور أبنائها ، وكلاهما كريم على طريقته .. حتى إن أحد الجنود قال لـ (عبير) :

- « لو استمر الحال هكذا فلسوف نواجه نقصًا خطيرًا فى الذخائر ! »

وفـى الريف خرج الفلاحون يمارسون هوايتهـم المفضلة للكفاح : تدمير الخطوط الحديدية .. وهكذا

انقطعت المواصلات تمامًا .. وكان المعتمد البريطانى يشد شعره غيظًا كلما سمع عن عملية جديدة ..

لكن الثورة لم تزل فى بدايتها ..

هذا ما لم يعرفه المعتمد البريطانى ، وبالتأكيد لم تعرفه (عبير) ..

★ ★ ★

٤ـ الاشتعال مرة أخرى !

رأسها يؤلمها لكنها حاولت أن تبقيه فوق كتفيها .. كان هذا عسيرًا لأن وزنه لا يقل عن طنين ..

قالت : أووع ! وأفرغت ما فى معدتها ، ولحسن حظها أنها ليست طبيبة وإلا لعرفت أنها مصابة بـ (ما بعد الارتجاج) ..

وكان حلقها جافًا كالدبق ـ أتمنى أن أعرف ما هو ـ لكنها لم تجرؤ على الشرب ..

أين أنا ؟ السؤال الأول ..

لماذا أنا فى هذا (الأين) ؟ السؤال الثانى ..

★ ★ ★

كانت الثورة تشتعل يومًا بعد يوم ..

فى البداية يلتقى الناس فى ميدان أو أمام مدرسة ،

وتنطلق الخطب كلها تتحدث عن مصر المسلوبة المخطوفة ، وعن (سعد) الذى انتزعه الإنجليز من بين أبنائه الذين هم أحوج ما يكونون إليه الآن ..

وسرعان ما تتعالى الهتافات وتندلع مظاهرة جديدة .. ثم تصل قوات الشرطة فيتعالى صوت الرصاص .. وتصهل الخيول ويتصاعد الدخان إلى عنان السماء ، وتتلطخ الشوارع بالدماء ..

وكانت (عبير) الآن فى خطر داهم .. لو نزلت إلى الشارع فهى لا تأمن الإنجليز قبل المصريين .. أن يصعب أن تصيبها رصاصة إنجليزية متحمسة ، أو يهوى على قفاها دبشك بندقية أو - لو كانت سعيدة الحظ - سوط يمزق لحم وجهها .. لهذا اختارت أن تتوارى فى فندقها المطل على النيل ، ومن خلف الستار راحت تنظر إلى هذا المشهد العجيب : القاهرة المسالمة الرحبة غالبًا تغلى ..

وإن تنس لاتنسى يوم رأت المصريين يجرون من يبدو كأبناء البلد ووجهه ينزف دمًا ، ومن الواضح أنه قد تلقى عددًا لا بأس به من الضربات .. رأتهم يجرونه

مشفوعًا بالسباب والاحتقار ، حيث ألقوا به بين خيول الشرطة ثم تركوه وتراجعوا .. وتلقى الرجل عددًا لا بأس به من لسعات الكرابيج قبل أن يتوارى وهو يصرخ ككلب ديست ساقه ..

- « هذا من رجالنا .. »

نظرت إلى الوراء إلى السير (وينجيت) الذى جلس فى مقعد وثير فى الغرفة ، يدخن سيجاره ، ويفكر .. والحقيقة أنه لم يكن ينظر لها على الإطلاق .. كان ينظر عبر البحر إلى إنجلترا .. عينان زائغتان شفافتان تشبهان عين ميت ، لو كان الميت إنجليزيًّا .. والحقيقة أن السير (وينجيت) لم يكن يجد مفرًّا من المسئوليات فى الآونة الأخيرة إلا فى غرفتها بالفندق ، حيث كان يزورها ليجلس الساعات يدخن شارد الذهن ..

أردف الرجل وهو مغلف بالدخان الكثيف :

- « هذا من رجالنا ، وقد انطلق ليتجسس على المصريين ، ويشعل بعض الحرائق أو يخرب الممتلكات ،

كى نجد مبررًا لقمع هذا التمرد أمام العالم .. إنها سياسة ناجحة دائمًا فى المظاهرات .. إن خرجت المظاهرات ضدك فأرسلى من يندس فيها ويحرق شيئًا هنا وهناك .. بعد هذا لن يلومك أحد إن ذبحت كل المتظاهرين .. لِمَ لا ؟ هذا من حقك .. أليسوا مجموعة من المخربين ؟

« المشكلة هنا أن المتظاهرين كانوا أذكى منا ، وعرفوا على الفور ما يريده هذا الأحمق .. لقد نظموا شرطة وطنية تراقب أعمال العنف كهذه ويقبض على مرتكبيها .. لاحظى أن العملاء أغبياء دائمًا .. لا يمكن أن تجدى شخصًا ذكيًا بارعًا يعمل لديك .. »

ـ « هذا طبيعى .. وإلا فلماذا يعمل الشخص الذكى البارع عميلاً ؟ »

فى مرارة ابتسم الرجل ، وأطلق سحابة دخان كثيفة كادت تخنقها ، وقال :

ـ « لقد انتهى الأمر بالنسبة لى على كل حال .. »

استدارت لتنظر له فى ذهول وعدم فهم :

ـ « ماذا تعنى بالضبط ؟ هل ستموت ؟ »

ابتسم ثانية وقال :

ـ « ليس بالضبط .. ليت هذا كان ممكنًا .. أعنى أن هذه المظاهرات قد قضت على سياسيًا .. ولسوف أعود إلى إنجلترا .. لقد اعتبرونى فاشلاً .. لسوف يرسلون إلى هنا من هو ألعن منى وأقسى .. ولسوف يعرف المصريون أنهم استجاروا من الرمضاء بالنار .. »

وبحث عن مثل إنجليزى مماثل لمثلنا : « يا ناكر خيرى .. بكره تعرف زمانى من زمان غيرى » ، فلم يجد ـ طبعًا ـ لذا واصل التدخين ..

ـ « ومن سيأتى بعدك ؟ من هو هذا السفاح الوغد معدوم الضمير ؟ »

ـ « من غيره ؟ طبعًا الجنرال العظيم (إدموند هنرى هاينمان اللنبى) .. »

ـ « (اللنبى) ؟ »

- « طبعًا .. وهو مناسب جدًا لأن .... »

ثم عاد إلى الشرود .. وقررت (عبير) أن الرجل انتهى عقليًا كما انتهى نفسيًا .. ربما يطلق الرصاص على رأسه حين يعود إلى الوطن وربما لا يفعل ، لكن الأمر سيان ..

وهكذا ينتهى دور السير (وينجيت) المعتمد البريطانى فى هذه القصة ..

* * *

وما لم تعرفه (عبير) كذلك أن أهالى قرية (البدرشين) لم يكن لهم باع فى السياسة .. لماذا تهتم بأمور كهذه؟ كما أنها لم تعرف قط أن أهالى القرية ناموا فى ساعة مبكرة بعدما أظلمت السماء ، ولم يكونوا يتمتعون بتيار كهربى ..

فى الساعة الثانية صباحًا تحول الليل إلى نهار ، وازدحمت شوارع القرية بالسيارات .. ومنها نزل عدد من الجنود يكفى لاحتلال الاتحاد السوفييتى هذه المرة .. خرج القوم من ديارهم ، والفلاحون أكثرهم

لم يجدوا الوقت الكافى لارتداء الجلباب فوق السروال ذى التكة والصديرى ..

كانت الكلاب تنبح والأطفال يعوون .. الكلاب والأطفال .. الثنائى الضرورى لتحطيم الأعصاب خاصة إذا أضيف إليهم صراخ النساء .. وحقًا صرخت نساء كثيرات ، لكن الضابط البريطانى مرهف الحس أمرهن بأن يخرسن ..

اقتيد الرجال إلى ساحة القرية .. ووقف العمدة يلوح بيديه فى عدم تصديق ، وطلب أن يسمحوا له بالفهم .. هذه قرية مسالمة لم تفعل شيئًا ..

ولم يصدق أحد ما حدث ..

لم يصدق أحد حتى وقف الجنود صفًا والبنادق مصوبة إلى الصدور ..

لم يصدق أحد حتى أصدر الضابط أمره: «فاير !» الذى لم يفهمه الفلاحون ..

لم يصدق أحد حتى تهاوى عدد من الرجال على الأرض دون أن يجدوا الوقت للصراخ ..

لم يصدق أحد حتى قفز الجنود إلى السيارات الصاخبة ، وابتعد الجمع وسط رقعة الضوء ..

لم يصدق أحد حتى حين عاد الظلام ، فلم يبق من ذكرى ما حدث إلا رائحة البارود فى الهواء ..

وبالطبع لم يعرف الذين ماتوا أن هذا حدث كذلك فى (العزيزية) و(نزلة الشوبك) ، ولم يعرفوا أن (مصطفى كامل) لم يعد هناك كى يفضح الجريمة فى كل أرجاء العالم المتحضر ، كما فعل مع (دنشواى) ، وكما فعل (برناردشو) ضمير بريطانيا ..

كان هذا يوم 25 مارس 1919 ..

إن أشياء كهذه قد تمر مر الكرام .. لهذا لم تعرفها (عبير) .. أما عن (اللنبى) فقد راح يجرب المزيد من فن المذابح .. راح يحاول إثبات أنه جدير بسمعته السيئة ..

لكن المصريين كانوا قد بلغوا نقطة اللاعودة ، وصار أى كلام عن التراجع معناه أن من ماتوا قد ماتوا سدى ..

* * *

ومن مكان ما فى الليل دوى صوت مطرب سكندرى له صوت حزين بعيد ، يحمل فى ثناياه رائحة الأرض الرطبة المحروثة ، ورائحة خان الخليلى ليلاً ، وقسوة ودلال بنت البلد ، وأحزان عمال التراحيل ، و... و...

كان صاحب هذا الصوت يدعى (سيد درويش) .. الشيخ الذى لم يستطع قط قراءة النوتة الموسيقية ، لكنه غير تاريخ الموسيقا العربية إلى الأبد ..

وفى مكان آخر كان مثال اسمه (محمود مختار) ينهض ، ليمسك بإزميله ويستلهم أجداده المصريين .. وتدب روح الفن فى الحجر كما لم تدب منذ آلاف السنين ..

وحول أسرة المرضى يحتشد د. (على إبراهيم) و(نجيب محفوظ) و(جورجى صبحى) و(على رامز) .. هؤلاء العباقرة الذين من عباءتهم خرج الطب فى مصر .. إنهم النطاسيون .. لا أدرى السبب لكن اللفظة تعطى انطباعًا بالبراعة أكثر من كلمة (أطباء) ..

(طلعت حرب) يقرر إنشاء (بنك مصر) عام 1920 .. الاقتصاد المصرى ينهض ، ومعه يتم إنشاء مصانع الغزل العملاقة فى المحلة الكبرى ، ويتحول نشاط البنك إلى نهر يروى المصانع والسياحة والسينما (ستوديو مصر) .. وكل شىء ..

ومن الصعيد يأتى (طه حسين) .. ومن أسوان يأتى (العقاد) .. ومن روما يعود (يوسف وهبى) .. بعضهم جاء قبل هذا وبعدهم جاء بعد هذا بقليل .. لكن الحقيقة التى لايجب نسيانها ، هى أن مصر كانت تنهض .. تنفض الغبار عن نفسها وتحك عينيها بعد قرون من السبات .. أين أنا ؟ ماذا حدث فى أثناء نومى ؟ كانت هناك هزة أولى مع الحملة الفرنسية ، وهزة ثانية مع ثورة (عرابى) ، وهزة خفيفة مع (مصطفى كامل) و(محمد فريد) .. لكن ثورة 1919 كانت الهزة التى نفضت الغبار عن المارد النائم ..

وها هو ذا الآن ينهض ويفتح فمه ، مهددًا بازدراد كل من يقف فى طريقه .. الإنجليز ..

و(عبير) !

* * *

٥ ـ مجرد مذبحة أخرى ..

رأسها يؤلمها لكنها حاولت ألا يؤلمها .. كيف ؟ تلك مشكلتها لا مشكلتنا ..

كان يدق كالجرس .. هذا الألم من النوع الرنان الذى يخض الأفكار خضًا ويجعلك عاجزًا عن التفكير الصائب ..

عيناها بدأتا تقهران الظلمة ببطء ، والآن تختفى الشموس ، وتدرك أنها فى غرفة قذرة اتساعها .. يمكن القول إنها باتساع حمامين ملتصقين .. هنا تأتى مشكلة تحديد حجم الحمامين .. لأن هناك حمامات واسعة وأخرى ضيقة .. آه ! يا للألم ! إنها تخرف فعلاً .. هذا هذيان لاشك فيه .. إن الضربة لم تزل بعد ..

* * *

فى مكتب (اللنبى) وجدته جالسًا مهمومًا يدون بعض الأوراق ..

نظرت إلى التقويم على مكتبه فوجدت أن اليوم هو 5 إبريل .. لقد مر شهر على الثورة أو أقل قليلاً .. شهر لم تكف فيه البلاد عن الاشتعال كالمرجل ، ويبدو أن الجنرال قد بلغ آخر المدى فى جذب وتر قوسه .. بعد قليل سينقطع الحبل من دون شك ..

فيما بعد سيخلد أهل السواحل عندنا ذكرى (اللنبى) هذا للأبد ، حين يحرقون الدمى المحشوة بالقش ، والتى تلبس ثيابًا بريطانية .. بعد فترة سينسون سبب ما يقومون به ، لكنهم سيظلون يحرقون الدمى فى شم النسيم كل عام ، ويطلقون عليها اسم (لنبيهات) ..

قال لها (اللنبى) :

ـ « (سعد) ومن معه .. »

كادت تقول له (اشمعنى) باعتباره يبدأ قافيه ، لكنها تذكرت أنها صحفية إنجليزية وقور ، فسألته :

ـ « ماذا دهاهم ؟ »

ـ « سيعودون من مالطة ! »

لم تصدق ما تسمع .. إلى هذا الحد إذن نجح المصريون فى إملاء إرادتهم على الإمبراطورية التى لاتغيب عنها الشمس ؟ كانت تعتقد أن ما يقوم به هؤلاء نوع من النطح فى الصخور أو محاربة الطواحين ، ولن تلبث قرونهم أن تتهشم ، ويعودوا إلى رشادهم نادمين على ما كان .. لكن رضوخ الإمبراطورية بهذا الشكل لإرادة مجموعة من الفلاحين هو أمر مذهل ..

الحقيقة أن بريطانيا صارت تتلقى ضربات أكثر من اللازم منذ ذلك الحين ، حتى جاءت حرب 1956 حين فشلت فى الاحتفاظ بقناة السويس ، التى أممها (عبد الناصر) .. من حينها غربت الشمس على الإمبراطورية ، ولحقت بالمكان الذى توارت فيه الإمبراطورية الرومانية والفارسية وغيرهما ..

رأى (اللنبى) ترددها ودهشتها فقال لها :

ـ « لابد من قمع العصيان .. كانت خطوة نفى (سعد) مجنونة ، وقد شعر المصريون بأنه ليس لديهم ما يخسرون .. هل تفهمين ؟ »

ولوح فى وجهها بالقلم المذهب الذى كان يكتب به وأردف :

- « أخطر شىء فى العالم أن يشعر خصمك أنه ليس لديه ما يخسره .. »

وافقته من قلبها .. كلام حكيم جدًا برغم أن قائله سفاح ..

قال لها :

- « سيخرج المصريون من ديارهم ، وغدًا تمتلئ الشوارع بالمحتفلين .. لا أطلب منك شيئًا إلا أن تخففى من غلواء مقالاتك .. كفى عن الحماسة والفرح لفرح أعدائنا ! لا تنسى أنك بريطانية .. »

- « ظننت هذا مفهومًا .. »

- « أحيانًا أشك فيه ! »

* * *

كانت الشوارع مزدحمة بحق ، فلم يعد الكلام عن

علبة السردين واردًا هنا .. لقد تداخلت الذرات ذاتها ، ولرب من يرفع ذراعه الأيمن فيفاجأ بأنه رفع ذراع جاره .. الكل يهلل ويتصايح ويلوح باللافتات ، وتتصاعد الزغاريد .. لقد برهن الشعب على قوة إرادته التى استطاع أن يفرضها على المعتمد البريطانى ، وفهمت (عبير) أن هذا الزحام - ربما - يمتد فى رقعة واحدة متجانسة عبر وادى النيل كله ..

وخرج أحد الباعة من متجره ، ودس فى يدها كوبًا مليئًا بسائل وردى عجيب .. وقال لها وهو يجفف عرقه :

- « شربات (سعد باشا) .. »

لم تعرف كنه الشربات لكنها أفرغته فى جوفها مرة واحدة ، وقدرت أنه مشروب محلى ما .. فهى لم تجسر على الاعتراض ، وملامحها الأجنبية تجعلها عرضة للشكوك .. وخفضت رأسها لتتقى سيلاً من الحلوى قذفته امرأة من شرفتها ..

كان الناس يرقصون .. وبدا أنهم راضون عن الكون

إلى حد لا يمكن معه لشىء أن يضايقهم .. لاشىء حتى طلقات الرصاص التى راحت تنهمر من مكان ما عليهم ..

ونظرت (عبير) إلى مصدر الطلقات .. من هذا المجنون الذى ؟ »

طاخ ! طاخ !

هذه حقيقة ! الإنجليز يطلقون النار على الحشود بلا تفسير .. هذه ليست مظاهرات احتجاج يا حمقى، بل مظاهرات فرح ! ما معنى هذا ؟

من جديد عاد المشهد الخالد ، وتعالى صراخ النساء بينما الناس يسقطون بالجملة ، وسقط الشيوخ والأطفال تحت التدافع ، كما يحدث فى خلية نمل وطأتها قدم غادرة ..

تركض ذاهلة وهى تردد : هذه ليست مظاهرات احتجاج ياحمقى، بل مظاهرات فرح ! تتعثر .. تنهض .. تسقط .. هذه ليست مظاهرات احتجاج ياحمقى، بل مظاهرات فرح !

لكن التفسير الوحيد كان جليًا .. غطرسة المستعمر تجعله يرفض الاعتراف بأنه هُزم .. لم يطق صبرًا وهو يرى الناس يحتفلون متشفين فيه ، وقرر أن يبرهن لهؤلاء أنه ما زال صاحب الكلمة الأخيرة ..

طاخ ! طاخ !

والحقيقة أن كثيرين فى وطنها كانوا يرون أن (اللنبى) يتعامل مع الثورة بلين جدير بالمرضعات .. لماذا لا يسفك المزيد من الدماء ؟ لماذا لا يعدم نصف الشعب المصرى ليتعظ النصف الباقى ؟ وكانت هذه الطلقات تؤكد المفهوم ذاته ..

راحت تركض غير عارفة من أين يأتى الموت .. موت غريب يتخذ شكل صفير يشق الهواء .. ها هو ذا قد اختار ضحيتين .. هذا الشاب الذى سقط على الأرض كدنّ ثقيل دون أن يفعل أو يقول شيئًا .. وهذه السيدة المنقبة التى صممت على أن تعطى الموت بالرصاص حقه الكامل من الاحترام ، فصرخت



الهواء .. لابد من هواء .. إن صدرها صار مغلقًا لا يستطيع الحصول على المزيد ..

وأمسكت صدرها وراحت تتلوى وتئن ، ثم سقطت على الأرض أمامها ..

إلى أين تهرب ؟ ثمة من يدفع من الخلف ومن يسد طريق الهروب من الأمام .. تعثرت على الأرض ، فجذبها أحدهم على قدميها بيد من حديد ، لأن من يسقط لن ينهض ثانية ، وواضح أنه لم يتبين ملامحها وإلا لتركها ..

جدار يقود إلى زقاق جانبى .. هى الآن مهروسة إلى الجدار يوشك كتفها على أن يتهشم تحت ضغط الناس .. تحاول أن تحول محصلة القوى العمودية إلى قوى جانبية تدفعها إلى الزقاق ، لكنها لم تكن قط بارعة فى علم (الاستاتيكا) ..

الهواء .. لابد من هواء .. إن صدرها صار مغلقًا لا يستطيع الحصول على المزيد ..

الطلقات تنهمر .. اللعنة على الإنجليز ! اللعنة على قومها ! إنهم جزارون بحق .. ألا يرون أنها وسط

هؤلاء ؟ ألا يفهمون أنها على وشك الموت ؟ لماذا لاتعطينا لحظة نلتقط فيها أنفاسنا أيها الوغد ؟

الطلقات .. الطلق .. لابد من هواء .. هواء .. هواء ..

شعرت برغبة عارمة فى القىء ثم ... لم تعد هنا ..

صارت هناك ...

* * *

٦ - ضيفة برغم أنفها ..

هكذا يمكننا الآن أن نفهم ما تكلمنا عنه فى بدايات الفصول السابقة ..

كانت (عبير) الآن تصحو من نومها أو إغماءتها لتجد أنها راقدة على فراش فى غرفة مظلمة فقيرة .. وأن رأسها يؤلمها بعنف .. وكانت مغطاة ببطانية سميكة فلا تنس أننا فى إبريل ..

كانت هناك نافذة .. استطاعت أن ترى حدودها فى الظلام ، ومشت لها .. اصطدمت قدمها بشىء فى الأرض وكادت تهوى على عنقها لكنها تماسكت ، وأخيرًا تتحسس حدود النافذة .. وجدت يدها المزلاج ففتحته ، لكنه كان موصدًا بشكل لا يسمح لها إلا بأن ترى خيطًا خافتًا من نور يدخل الغرفة .. على الأقل كان هذا كافيًا كى تفهم أن الوقت نهار ، وتتبين أبعاد المكان الذى هى فيه ..

نظرت للوراء حيث كان باب مغلق يوحى منظره بأنه عسير الفتح .. مغلق من الخارج غالبًا ..

و(عبير) ذكية كما نعلم .. لهذا قدرت أنها سجينة .. فهمت الأمر سريعًا كما يفهمه أى قط متوسط الذكاء ، وبدأت تخمش بأظفارها وتدق الباب .. إن رهاب الأماكن المغلقة (كلوستروفوبيا) يصيب الصحفيات الإنجليزيات كأى واحد آخر ..

بعد ثوان من الصراخ والخمش ، سمعت من يعبث بالمفتاح من الجانب الآخر .. انفتح الباب ودخل (شريف) ..

* * *

لا أعنى هنا طبعًا أن من دخل هو (شريف) ، لكنه يحمل ملامح (شريف) زوجها ويتكلم مثله ، وفى هذه اللحظة فهمت (عبير) باقى القصة : لسوف تحب هذا المصرى وتتبنى قضيته .. وينتهى الأمر بها وقد صارت مصرية قلبًا وقالبًا ..

لا يمكن أن تتخذ الأمور منحى آخر ، لأن ظهور (شريف) المعتاد هو العلامة .. لابد من قصة حب ما .. مع من ؟ مع من يحمل ملامح زوجها .. الأمر منطقى وممل تمامًا ، و(دى ـ جى) هذا لم يعد مجددًا فى أحداث القصص .. تبًا له ..

كان وسيمًا طبعًا كما اعتادت أن ترى (شريف) لكنه كان مصفف الشعر بأسلوب عتيق ، وقد وضع عليه ـ فيما يبدو ـ طنًا من (الفازلين) ، حتى صار يلمع كغلاف هذا الكتيب .. وكان يلبس قميصًا أبيض مفتوح الياقة غير مزرر الكمين .. الخلاصة أنه بدا خارجًا من أحد الأفلام القديمة الصامتة ، وتوقعت فى أية لحظة أن يمشى مثل (شارلى شابلن) ..

يداه تحملان صينية عليها بعض الشطائر وكوب من الشاى ..

قال لها بإنجليزية لا بأس بها وهو يضع الصينية على منضدة صغيرة مهشمة الأرجل :

ـ « أنت استعدت وعيك ؟ لحسن الحظ .. »

كان صوته هادئًا مريحًا من الطراز الذى يصلح لأن تحبه باقى القصة .. لكنها قررت أن تؤدى دورها حتى النهاية :

ـ « أين أنا ؟ ومن أنت ؟ وماذا تريد منى ؟ »

قال لها مبتسمًا :

ـ « السؤال الأول لن أجيب عنه .. السؤال الثانى إجابته أننى أدعى (محمود أحمد فؤاد) . طالب فى مدرسة الحقوق .. السؤال الثالث إجابته أننى لا أريد شيئًا منك .. »

قالت فى عصبية :

ـ « أنا (دوروثى ثورنوايلد) .. صحفية بريطانية ، وليس من حقـ ... »

ـ « أعرف .. لقد تفحصت أوراقك .. »

ـ « السؤال الرابع هو : ماذا أفعل أنا هنا ؟ »

حك رأسه وقال وهو يتجه للباب :

ـ « كنت فاقدة الوعى لو كان هذا عملاً يمارس .. وقد أحضرناك إلى هنا وقد أوشك الزحام على تهشيم جسدك .. كان من العسير تركك تتحولين إلى دقيق تحت الأقدام ، لقد كافحنا حتى أبعدنا الناس عنك ، وحملناك إلى هذا الزقاق الذى كنت بجواره حملاً ، ولم يلاحظ أحد ما حدث لأن كلاً كان مشغولاً بنفسه ، وباتقاء الرصاص المتطاير من كل صوب .. »

ـ « إذن أنا شاكرة لكم ، والآن أرجو أن تسمح لى .. »

حك شعره من جديد فى ارتباك ، وغمغم :

ـ « هنا يأتى الجزء المحرِّج من الموضوع .. لابد من الانتظار .. »

ـ « انتظار ماذا بالضبط ؟ الاستقلال ؟ »

ضحك قليلاً تلك الضحكة العصبية التى توحى بأنه لا يجد ما يضحك فى هذا ، وقال :

ـ « إذن لكان انتظارك قصيرًا جدًّا .. ولكنى أرجو

أن تصبرى قليلاً حتى يأتى رفاقى وعندها ستفهمين كل شىء .. »

- « إذن أنا سجينة هنا ؟ »

قال وهو يفتح الباب ، ودون أن ينظر إليها :

- « ليس بالضبط .. لنقل إنك ضيفة برغم إرادتك ! »

كان هذا هو آخر ما قال ، ومن جديد ساد الظلام والصمت ، وعادت وحيدة تختلس النظر إلى أرجاء الغرفة .. الأمر واضح .. لقد سمحت لنفسها بأن تفقد الوعى ، وهكذا صارت غنيمة باردة لمجموعة من المصريين حملوها إلى هذا المكان ، والآن هى رهينة لديهم .. خطفوها لكنها لا تعرف الغرض من خطفها .. لو كانوا يريدون تهديد الإنجليز بقتلها لو لم تنل مصر استقلالها ، فهم مخطئون بالتأكيد ! ولو كانوا يريدون مبادلتها بـ (سعد باشا) فقد تأخروا قليلاً .. إن الرجل حر الآن ..

كانت الشطائر لا بأس بها ، ومن الغريب أنها

كانت تحوى اللحم والسجق .. هذا غريب .. والأغرب أن اللحم كان مطهواً بعناية بطريقة توحى بأنه بيتى .. أما الشاى فكان أثقل مما تتحمله لكنها شربته للنهاية ، باعتباره نوعًا من الدواء يعيد لها الوعى قليلاً ..

مرت الساعات ثقيلة .. وهى لا تجد ما تفعله إلا النظر فى أرجاء الغرفة ، ثم قررت أن تبدى المزيد من الفضول .. ركعت على ركبتيها ونظرت إلى ما تحت الفراش .. كان هناك صندوق ورقى به زجاجات كيماوية ما ، وكانت هناك عدة قطع من المواسير فى كيس .. لا يزيد طول القطعة على عشرين سنتيمترًا ..

ما هذا وما معناه ؟

إن المواسير وزجاجات المواد الكيماوية ليست من الأشياء المسلية للأسف ، لهذا عادت إلى الرقاد على الفراش وراحت ترمق السقف ..

فى الظلام تستطيع عيناها أن تريا الأرض إلى حد

لا بأس به .. لقد بدأت الشمس تغيب ، لكنها ترى الأرض جيدًا ، وتتساءل عن هذه البقعة التى تتحرك هناك .. بقعة قاذورات حية ؟ هذا غريب ..

ثم فهمت على الفور .. والفهم جعلها تصرخ قبل أن تتأكد مما رأته ..

إيييييييى !

وهرع الفأر يتوارى تحت الفراش ، بينما وقفت هى تطلق الصرخة تلو الصرخة .. وصار من المستحيل الآن أن تهبط من على الفراش أو تنام ثانية واحدة ..

سمعت المفتاح يولج فى الباب ..

واندفع - بحركة درامية مثيرة - ثلاثة من الشباب المطربشين إلى الغرفة ، وقد بدا من هيئتهم أنهم يستعدون لقتال جيش (نبوخذ نصر) نفسه .. هذا طبيعى ما دامت قد صرخت كأنثى وجدت نفسها أمام جيش (نبوخذ نصر) نفسه .. وكان (محمود) هذا أول الثلاثة ، وأول من فطن إلى حقيقة ما جرى ..

- « الفأر .. أليس كذلك ؟ »

صاحت وهى تضرب المرتبة بقدميها :

- « الفأر ؟ إذن هناك واحد معروف لديكم ؟ »

- « فى الحقيقة .. هناك اثنان .. لكنى لم أتوقع أننا حبسنا أحدهما معك .. »

وقال آخر مفتول العضلات ضيق الجبهة من طراز هواة المشاجرات إياهم :

- « إنه خبيث كالثعابين ، وقد التقط رأس السمكة من المصيدة دون أن تنغلق عليه .. »

صاحت فى جنون :

- « إذا كنتم تنوون سجنى هنا فأنا أطالبكم من الآن بقتلى .. »

قال لها (محمود) - الذى بدا أرجح الثلاثة عقلاً - وهو يرفع يده ليهدئها :

- « حسن .. حسن .. سأتصرف .. أين هو الآن ؟ »

- « تـ .. تحت الفراش .. »

كان يحمل مكنسة فى يده لأنه كان يتوقع شرًا أكبر ، لهذا انحنى على ركبتيه وراح يعبث هنا وهناك تحت الفراش ، حتى خرج الحيوان الأسود الكريه جاريًا بين أقدامهم من فرجة الباب .. وهوى ضخم الجثة عليه بحذائه الثقيل ، لكنه كان قد تأخر نوعًا ..

أما وقد استقرت الأمور ، فقد وقف (محمود) باسمًا وأصلح من وضع الطربوش على رأسه ، وقال وهو يشير للآخرين :

- « الآن يمكننا الكلام .. أنت هنا فى دارى أنا ، وهذان صديقاى (مصطفى زاهر) و(شفيق مترى) .. كلنا طلبة فى مدرسة الحقوق .. »

أما ضخم الجثة فكان (مصطفى) وأما النحيل حزين الملامح فكان (شفيق) .. وضعت (عبير) يديها فى خصرها وقالت :

- « تشرفنا .. هل لى أن أفهم لماذا أنا سجينة هنا ؟ »

- « لم يقل أحد إنك .... »

- « نسيت .. معذرة .. لماذا أنا ضيفة برغم أنفى ؟ »

- « ألا ترين أن الكلام سيكون أسهل لو نزلت من فوق الفراش ؟ »

* * *

قال لها (محمود) حين هدأت الأمور قليلاً : إن الإنسانية هى السبب الوحيد الذى جعلهم ينقذونها .. لكن هناك عدة عوامل تجعل إطلاق سراحها عسيرًا .. إن الصينيين يقولون إن الإمساك بذيل النمر سهل ، لكن تركه مسألة أخرى ! لقد تسرعوا بجلبها هنا ، لكن إطلاق سراحها سيجلب عليهم الوبال ..

العامل الأول : هو أنك إنجليزية .. ونحن نكره الإنجليز جدًا .. ليس إلى حد قتل نسائهم طبعًا لكن الإغراء شديد من دون شك .. أو هذا ما يراه (مصطفى زاهر) ..

العامل الثانى : هو أنك ستخرجين من هنا لتقابلى (اللنبى) شخصيًا وتزعمى أننا خطفناك .. ولن يتكلم أحد وقتها عن إنقاذك من الموت فى الزحام .. هذا رأى (شفيق مترى) ..

العامل الثالث : من يدرى ؟ لربما كان الخطف فكرة لا بأس بها ، ويمكننا عندها أن نضغط على قومك للإفراج عن بعض رجالنا .. هكذا بدأ يصير رأيى ..

قالت فى سخرية :

ـ « لو حسبتم هذا فأنتم حمقى .. سيترك لكم الإنجليز حرية قتلى ، ولسوف يرسلون للوطن يقولون إننى قبلت الموت راضية من أجل التاج .. »

ـ « هذا يجعلنا نتكلم عن العامل الرابع وهو الأهم .. كيف نطلق سراحك وأنت تعرفين عنا ما تعرفين ؟ »

ـ « أعرف ماذا ؟ »

ـ « لا داعى للادعاء .. أنت رأيت ما تحت الفراش .. لا تنكرى هذا .. لقد رأيت الصندوق بينما كنت تطاردين الفأر ، وعرفت أنك فتحته ورأيت ما به !! »

* * *

٧ ـ ضيفة برغم أنفها ..

(هل سمعت هذا العنوان من قبل ؟)

قال من عرفنا أن اسمه (مصطفى) وهو يضرب بقبضته كفه :

ـ « لا يمكن لهذه الفتاة أن تخرج من هنا حية .. اسمع .. سنأخذها الليلة إلى المقطم ومعنا جوال و ... »

ـ « هلا التزمت الصمت قليلاً ؟ »

ثم نظر لها (محمود) وقال باسمًا :

ـ « كما ترين .. هناك إلحاح جماهيرى غير مسبوق لقتلك .. »

وأخرج من جيبه مدية ومد كفه بها لـ (مصطفى) وقال دون أن ينظر إليه :

ـ « لماذا لا تفعل هذا الآن ؟ إن المكان يسمح ولسوف نزيل آثار الدماء بسهولة .. »

وقف (مصطفى) ينظر إلى المدية كأنما ينظر إلى ثعبان ودس يديه فى جيبه كأنما يخشى أن يلمسها دون أن يقصد .. مرت دقائق ثم همس والعرق يحتشد على جبينه :

ـ « سبحان اللَّه .. ولماذا أفعل هذا وحدى ؟ »

فى هدوء أعاد (محمود) المدية إلى جيبه ، وقال وهو ينظر لها محتفظًا بابتسامته :

ـ « كما ترين .. ليس بيننا قاتل نساء .. حتى لو كن إنجليزيات .. إن (مصطفى) عنيف شديد المراس ، لكنه طيب القلب .. وتلك هى المشكلة .. لن يجرؤ أحدنا على قتلك .. لكننا لا نستطيع تركك تفرين بعدما رأيت .. »

سألته :

ـ « وما الذى رأيته ؟ »

ـ « أنت تعرفين أن هذه متفجرات وأننا فدائيون .. »

تساءلت فى غباء :

ـ « هل تعنى أن هذه متفجرات وأنكم فدائيون ؟ »

- « بل عنيت أن هذه متفجرات وأننا فدائيون ! »

- «وكنت أنام على فراش تحته كل هذه المتفجرات ؟»

- « يبدو هذا .. والآن ترين أننا لن نستطيع تركك ترحلين .. »

ساد صمت رهيب لبضع دقائق .. الآن تفهم (عبير) وضعها بوضوح .. إنها أسيرتهم لأنها إنجليزية ، ولأنها تصلح للضغط ، وحتى لا تزعم أنهم خطفوها ، وحتى لا تبلغ عما رأته ..

تمنت أن تقسم له إنها لن تبلغ عنهم ، لكنها لم تفعل .. أولاً هم لن يصدقوها .. ثانيًا هي لا تضمن تصرفها حين تخرج من هنا .. إنها تكرههم بالفعل ، ومن الواضح أنها تمارس دورها كبريطانية متعالية بأمانة ودقة .. من يدريها أنها لن تتصرف بأمانة ودقة حين تخرج من هنا ؟

قالت له في غيظ :

- « ألا ترى أنك تصرفت بحماقة ؟ لقد وضعتني

ووضعتكم في مصيدة لا فكاك منها .. والآن يبدو أنني سأظل هنا حتى يخرج الإنجليز من مصر »

- « هذا حق .. لكنني لم أتحمل أن أراك تهرسين في الجدار .. وأرجو أن تسامحيني لو قلت إنك أيضًا تصرفت بحماقة .. كيف تمشي امراة بريطانية وسط هذه المظاهرات الغاضبة على بريطانيا ؟ إن للانتحار طرقًا أخرى كثيرة .. لا أشك أن البريطانيين كانوا يعتبرونك مجنونة »

هنا دخلت الغرفة امرأة مسنة ترتدي طرحة وجلبابًا .. كان منظرها غريبًا بحق وسط المكان الذي كان يبدو كخلية ثورية من دقائق .. نظرت لـ (عبير) في فضول ونظرت للشباب ، ثم قالت :

- « هل هذه هي الخواجاية ؟ إنها جميلة .. لابد أنها لم تأكل شيئًا منذ التهمت الشطائر .. إن الغداء معد .. »

- « حالاً يا أمي .. »

كان المشـهد غريبًا بحق .. إذن هذا بيت عادى جدًا .. بيت أسرة يطهى فيه الطعام .. هذا طبعًا يفسر شطائر اللحم ذات المـذاق البيتـى .. فمـاذا عن المفرقعات التـى تحت الفراش ؟ ومنـذ متـى تسـمح الأمهات باستجلاب الأسيرات البريطانيات إلى بيوتهن ؟

أشار لها (محمود) باسمًا وقال :

ـ « إن أمى طاهية بارعة .. وهى تصر علـى أن تتناولى الغداء معنا .. »

ولما رأى السؤال فى عينيها قال :

ـ « كل بيت صار جزءًا من الثورة .. لم يعد بيت مغلقًا علـى نفسـه .. حتـى ربـات البيوت اللاتـى لـم يرين الشمس قط ، صرن يفتحن بيوتهن ليخفيـن الهاربين والجرحـى .. إن قومـك قد أحدثـوا تطـورًا رهيبًا فى سلوكياتنا .. »

ثم همس لها فى خبث :

ـ « لكنهـا بالطبع لا تعرف إلا أقل القليل من القصة ..

هى لا تدخل الغرفة التى أنت فيها ، ولا تعرف شيئًا عـن المفرقعـات ، وإلا لأصابهـا الجنـون .. وهـى بالمناسـبة صـماء تمامًا لا تتفاهـم إلا بالإشـارات فلا تعتقدى أنها ستتضايق من صراخك .. »

كانت المائدة معدة فـى الصالـة .. مـائدة مستديرة صغيرة عليها قلة ماء ، وبعض أرغفة الخبز وبضعة أطباق يتصاعد البخـار من محتوياتهـا التى هى قليـل مـن الخضر واللحم .. ولاحظت (عبيـر) أن بـاب الشقة قريب جدًا وأن له شراعة كبيرة لا بـأس بها .. لا يفصلها إذن عن العالم الخارجى إلا زجاج مصنفر واه .. هذا جميل .. هذا واعد .. لكنها لم تقرر شيئًا كهذا بعد .. أما عن الصالة نفسها فكانت عارية من الأثـاث .. لا شـىء عدا مقعديـن عتيقيـن صغـيرين تتوسطهما منضدة عليها مصحف ..

الآن يفتك الشباب بالطعام فتكًا ، والعجوز لا تجلس معهم إنما تقومِ بإمداد المـائدة بالمزيـد مـن الطعام .. واضح أن صديقىِ الشاب معتادان على البيت ولايشعران إلا بأنه بيتهما ..

قال (شفيق) وفمه ملىء بالطعام :

ـ « سيسافر عدد من أعضاء الوفد إلى (مالطة) للحاق بـ (سعد باشا) .. ومن هناك ينطلق الجميع إلى باريس للمشاركة فى المؤتمر .. »

ـ « سيسافرون يوم 11 إبريل إلى بور سعيد .. ومن هناك إلى مالطة .. »

ـ « هذا يعنى أن علينا الانتظار .. لم يعد لنا دور فى هذا كله .. »

لم تكن (عبير) تأكل وإنما كانت تبلل اللقمة بالحساء مرات لا حصر لها .. هى أسيرة فى بيت مصرى ، تتناول الغداء مع مجموعة من الثوار ضد بلدها .. هذه ظروف غريبة .. ظروف جديرة بعالم الخيال طبعًا .. لكنها سرت إذ تذكرت أنها صحفية ، وأن كل تجربة جديدة إضافة لا شك فيها إلى رصيدها المهنى .. تجربة الحياة مع مجموعة من الثوار .. وأن تكون رهينة .. كم أن هذا ممتع ،

والأهم أنها تستطيع الهرب بشىء من الجهد متى أرادت .. ليس هذا مستحيلاً .. كانوا يسخرون من الشخص المتراخى بقولهم إنه لا يستطيع حراسة امرأة عجوز .. الآن (عبير) نفسها فى حراسة امرأة عجوز صماء !

تناول (مصطفى) القلة فرفعها إلى فمه فى قوة وفتوة لا داعى لهما ، وراح يكرع الماء فى نهم كأنما يملأ بئرًا .. ثم ..

أأأأأأاه ! تجشأ وتمطى ونهض وهو يردد : سلمت يداك يا حاجة ! لكن الحاجة لم تسمع طبعًا ..

ثم تصاعدت رائحة التبغ ، مع أكواب الشاى .. كانوا الآن يتكلمون عن توزيع المزيد من المنشورات تفضح ما قام به الإنجليز عندما احتفل الشعب بالنصر .. كانوا يتكلمون عن مطبعة فى الأزبكية تقوم بهذه الأمور ، وبدا شىء من الانزعاج على (عبير) فقال لها (شفيق) :

- « أنت تعرفين ما هو أسوأ من مطبعة للمنشورات .. نحن مكشوفون أمامك تمامًا ولا داعى للتمثيل مادمت لن تخرجى من هنا .. على الأقل الآن .. »

قال (محمود) وهو يفرغ كوب الشاى فى جوفه ، ويلوك البقايا :

- « إن الاستقلال دان .. أراه على الأبواب .. ولسوف تخرجين من هنا ! »

صاحت فى غيظ ، وهى تزيح كوب الشاى الموضوع أمامها :

- « يا للسماء ! على أن أنتظر هنا حتى تنالوا استقلالكم ! حتى لو تم هذا بعد مائة عام ! »

- « من يدرى ؟ » - وشردت عيناه قليلاً - « ربما نموت سريعًا وتتحررين أنت .. إن من يعيش حياتنا لا يعيش طويلاً جدًا .. »

ثم أشار لها بأدب إلى حجرتها السابقة :

- « لو سمحت لنا الآن .. يجب أن أطمئن عليك قبل أن أرحل . »

نهضت .. ومشت إلى الحجرة ، وقالت على الباب منذرة :

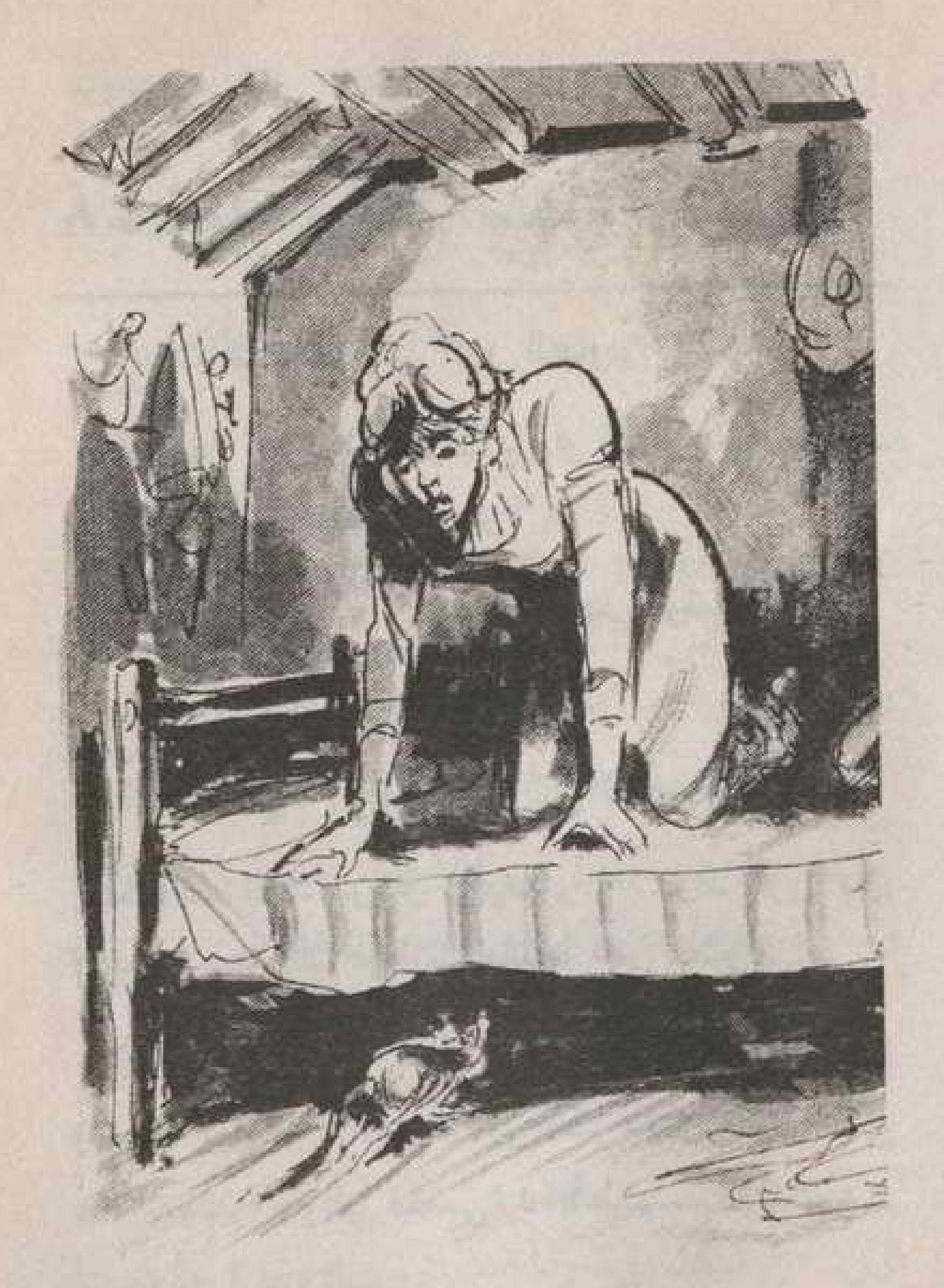
- « لن أبقى بالداخل مع كل هذه المفرقعات .. ليس ثانية ! »

- « اطمئنى .. لن نفعل هذا .. حتى على سبيل الاطمئنان على أنفسنا .. »

وركع تحت الفراش ليخرج الصندوق إياه ، فيحمله لاهثًا إلى الخارج ، ثم أشار لها فى أدب كى تنتظر بالداخل ، وأضاف :

- « سأحاول أن أجد لك بعض الروايات المسلية بالإنجليزية ، ولا أنصحك بالصراخ حتى لا يبح صوتك .. إن فى هذا الزقاق مقهى لا يكف صخبه طيلة الليل .. ولو انفجرت قنبلة هنا فلن يسمع أحد شيئًا ، ثم إننى لا أضمن ما قد يقومون به لو عرفوا أنك إنجليزية ! »

وأغلق الباب وسمعت المفتاح يدور فيه من الخارج ، فضغطت على شفتها السفلى فى غيظ ، ثم



دوى صراخـهـا حين لمحت الذيل الأسـود يتلوى هناك تحت الفراش ..

تمـددت على الفراش تفكر .. حانت منهـا نظرة إلـى الأرض فرأت ....

ااااااااهههههههه !!

دوى صراخها حين لمحت الذيل الأسود يتلـوى هناك تحت الفراش ، لكن أحـدًا لم يبال بهـا هـذه المرة .. لقد عاد الفأر بعد طرده ، فقط ليحبس معهـا فى غرفة واحدة !!

يبدو أن ليلتها الأولى هنا لن تكون سارة جدًا ..

★ ★ ★

٨ ـ ضيفة برغم أنفها ..

(بدأت أشك فى أننى أكرر العناوين)

اقتحموا الغرفة ـ بعد دقتين أو ثلاث على الباب ـ ووقفوا حولها واجمى الوجوه ..

نظرت لهم (عبير) فى عدم فهم ، وتساءلت :

ـ « ماذا هنالك ؟ هل رأيتم فأرًا ؟ »

قال (محمود) وهو ينظر إلى الأرض :

ـ « لقد انعقد مؤتمر (فرساى) .. وقد أقروا بأن لإنجلترا الحق فى فرض حمايتها على مصر .. »

فكرت فى الكلمات قليلاً .. هذا سيئ .. سيئ لهم ولها .. هم فقدوا الأمل الذى علقوه من دهور على هذا المؤتمر ، وهى تخشى ردة فعلهم .. كان عليهم أن يتوقعوا هذه النتيجة ..

سألتهم وهى تنهض من الفراش الذى تحجرت أطرافها بسببه :

ـ « فقدت الاحساس بالزمن .. أى يوم هذا ؟ »

ـ « الثامن من مايو .. لقد أعلن المؤتمر هذا أمس .. »

الثامن من ؟ معنى هذا أنها حبيسة هذه الغرفة القذرة منذ شهر ؟ لم تغادرها إلا لدخول الحمام .. وكان هذا فى وقت محدد مرتين يوميًا كما يفعل المساجين .. عندما تفتح لها العجوز ، والغريب أنها لم تحاول الهرب قط طيلة هذا الشهر ..

أشار (محمود) إلى الأرض جوار الفراش ، وسألها بلهجة من لا يهتم بسماع الإجابة :

ـ « ما هذا ؟ »

نظرت إلى حيث أشار ، وأجابت :

ـ « إنه الفأر .. لما لم أجد فائدة من طرده ، قررت أن أهادنه وصرنا صديقين .. »

كان الفأر يقضم قطعة من الخبز ، ولم يبد مهتمًا أدنى اهتمام بالفرار من المكان .. يبدو أنه صار يعتبر نفسه كائنًا بشريًا له حقوق وعليه واجبات ..

قال (شفيق) وهو يعض على أنامله :

ـ « الأدهى أن الموظفين أنهوا إضرابهم .. »

ـ « والولايات المتحدة التى اعتبرناها صديقًا أقرت لبريطانيا بالحق فى فرض حمايتها .. »

ـ « هم مجموعة من المنافقين .. يلعبون اللعبة ببراعة .. »

قالت (عبير) وهى ترمى للفأر بقطعة خبز أخرى :

ـ « لو كان لى أن أتكلم بصراحة لقلت إنكم سذج .. إن هذه الألعاب للكبار .. الدول الكبرى تتبادل المجاملات وتلتهم الدول الصغرى فى أناقة ، ودون أن تنسى قواعد (الاتيكيت) .. إن فرنسا دولة استعمارية ، والولايات المتحدة بنيت فوق عظام الهنود الحمر ، فهل تتوقعون من أحد أن ينصفكم ؟ »

ـ « حسبنا العدل شيئًا حقيقيًا له وجود .. »

ـ « هذه الدول تحب العدل .. لكن فيما بينها .. إنها تعتبركم تحت مستوى العدل ، وغير مؤهلين لأن تحكموا أنفسكم .. »

كور (مصطفى) قبضته ، ونفرت عروق رقبته .. وقال فى غل :

ـ « لسوف نريهم من نحن .. إن (سعد باشا) لن يسكت لهم .. »

إنه من الطراز ـ فكرت (عبير) ـ الذى يعتقد أن كل شىء يحل بالضرب ، فلو أن بريطانيا تجرأت ووقفت أمامه فى مشاجرة فلسوف ينتهى الصراع سريعًا .. قالت له فى برود :

ـ « (سعد باشا) مقهور مثلكم ، ولسوف يعانى الأمرين فى أروقة المؤتمرات ، لكنه لن ينال إلا ما تمنحه إياه الدول العظمى .. »

قال (شفيق) وهو يجهش بالبكاء ويغطى وجهه كى لا يتشفى أحد فى دموعه :

ـ « الغرب هو الغرب .. مجموعة من الأفاعى اتخذت شكل دولة .. »

وقال (مصطفى) وهو يمد يده فى جيبه :

ـ « أعتقد أن الوقت قد حان كى نفعل ما اتفقنا عليه .. لكن أولاً من الخلاص من رموز الاستعمار كلها ! »

وافقه (محمود) ـ لشدة دهشتها ـ وهز رأسه فى أسى قائلاً :

ـ « إنها لن تبقى هنا للأبد .. لن أمنعك هذه المرة يا أخى .. »

ـ « متى ؟ »

ـ « الليلة بعد أن تنام الحاجة ! »

ـ « والخروج بالجثة ؟ »

ـ « إن حقيبة كبيرة تصلح ، ونحن طلبة .. سيعتقد أن الحقيبة تحوى كتبًا دراسية ! »

ـ « وأين ؟ »

ـ « نتخلص منها ؟ فى المقطم طبعًا .. أين غير المقطم يتخلصون من الجثث ؟ »

كادت تجن .. هؤلاء السادة يناقشون تفاصيل قتلها ودفنها ، والغريب أنهم يفعلون هذا برقى بالغ ، فلو تمادوا قليلاً لأخذوا رأيها .. وما كانت لتدهش لو فعلوا ..

ـ « أنتم مجانين ! قلتم من قبل مرارًا إنكم لا تقتلون النساء .. »

ـ « كان لدينا أمل .. أما الخطر الحقيقى فهو الثائر الذى لم يعد يملك ما يخسره ! »

تذكرت هذه العبارة .. لقد قالها (اللنبى) وكانت صادقة طبعًا .. وما لم تفهمه (عبير) لكننا نفهمه لأننا عباقرة ؛ أنه مهما تباين الطغاة فهم حذرون بعيدو النظر يرون الخطر قبل وقوعه .. قليلون من الناس يعتبرون الأفلام خطرة ، لكن (هتلر) أدرك هذا قبل سواه ، ومنع عرض فيلم (المدرعة بوتمكين) فى

ألمانيا ، وهو بهذا كان أذكى وأبعد بصيرة من مثقفين كثيرين لا يرون فى السينما إلا تسلية .. ولأسباب كهذه منع (بونابرت) رجاله من مضايقة النساء المصريات - تحت طائلة الموت - وكان (جوبلز) يتحسس مسدسه كلما سمع كلمة (ثقافة) ، وأعاد الخديوى بعثات الدارسين بالخارج - وفيهم (على مبارك) - لأن الأمة الجاهلة أسهل حكمًا من الأمة المتعلمة ..

صاحت والدموع فى عينيها مزيج من الرعب والغيظ :

- « أنتم لن تقتلوا صحفية بريطانية بهذه البساطة ! »

قال (محمود) فى أسى وهو يشير لرفاقه نحو الباب :

- « لماذا ؟ ليس هناك دم أغلى من دم .. ولا روح أثمن من روح .. أنت لست أهم من كل من ماتوا من رجالنا ونسائنا .. »

وقبل أن تواصل الكلام كان الرفاق الثلاثة قد أوصدوا الباب عليها وانصرفوا ..

* * *

لابد أنها جابت الغرفة ألف مرة كنمر حبيس وهى تنتحب .. لن يحدث هذا لى .. لابد من الفرار .. لابد .. وفكرت فى النافذة ، لكنها كانت موصدة بشكل لايسمح إلا ببصيص من نور كما قلنا .. إذن هو الباب .. ولكن كيف ؟ »

جاء الحل بسهولة غير متوقعة لأن العجوز طرقت الباب من الخارج .. وقالت بصوتها الذى لا تتحكم فى ارتفاعه كعادة الصم :

- « موعد الحمام يا بنيتى .. »

هذا موعد دخول الحمام ، وكانت أحشاء (عبير) قد اعتادت هذا المؤثر البافلوفى ، حتى إن الطرقة كانت تصيبها بمغص شديد .. يبدو أن أهل الدار حمقى إذا كانوا سيتبعون نفس الروتين بعد ما عرفت (عبير) ما عرفت .. يبدو كذلك أن هذه هى الفرصة الأخيرة ..

دار المفتاح فى الباب ، ثم ظهر وجه العجوز الطيب

الباسم المغضن .. وتنحت جانبًا لتسمح لـ (عبير) بالمرور ، فهرعت هذه إلى الحمام فى حماسة كما تفعل كل يوم .. ثم خرجت منه لتجد العجوز جالسة فى الصالة تحيك شيئًا وتنظر ـ كالعادة ـ أن تدخل (عبير) الغرفة بنفسها .. لابد من قتال والتحام جسدى ، لكن العجوز فى حال مخجلة .. إنها عجوز جدًا لا تغرى بأى نوع من العنف ..

فى ثبات مشت (عبير) إلى الباب وأدارت المقبض ..

تبًا .. الباب موصد من الخارج ..

نظرت الأم من فوق كتفها إلى (عبير) ورأت ما تفعله فقالت دون اهتمام :

ـ « (محمود) يغلق الباب علىّ من الخارج دائمًا .. أنا لا أخرج أبدًا كما ترين .. »

ـ « تبًا لك ولـ (محمود) ! »

لكن العجوز ـ طبعًا ـ لم تسمع حرفًا ، واحتفظت

بالابتسامة على وجهها ، ومن جديد عادت للحياكة .. لايوجد سوى حل واحد : حياتها أمام حياة العجوز .. اتجهت لمائدة الطعام التى كان عليها طبق به بعض قطع الجبن وسكين .. سكين لا بأس بها .. وعندما يدخل (محمود) لن تطلب إلا شيئًا واحدًا : حريتها مقابل سلامة الأم .. مدت يدها إلى السكين .. قبضت عليها واتجهت إلى العجوز ..

هنا سمعت مفتاحًا يدور فى الباب ..

ثم انفتح الباب وظهر (محمود) .. لم يكن خالى اليدين ، بل كان يحمل حقيبة كبيرة .. حقيبة تكفى لحملها هى .. فما إن رأى العجوز و(عبير) والسكين حتى أجرى الحسابات اللازمة فى ذهنه :

الإنجليزية + الأم + السكين + الصالة = آى !

صاح وهو يلقى بالحقيبة أرضًا ويوصد الباب :

ـ « أتركى هذه قبل أن تجرحى أحدًا !! »

ـ « هذا لن يكون .. »

ـ « أنت حمقاء ! »

ثم جرى نحوها ، وقبل أن تفهم ما يحدث كان قد انتزع السكين من يدها بطريقة فنية لم تدر ما هى ، وحمل الحقيبة ، وجذبها من يدها نحو الحجرة .. أجفلت ولكمته فى صدره وهى تنشج ، لكنه قال لها :

- « لن أقتلك يا حمقاء .. لو هدأت قليلاً لفهمت كل شىء .. »

كل هذا والعجوز لم تسمع حرفًا .. فقط نظرت للوراء فرأت ابنها ، وتهلل وجهها ..

فى الغرفة دخل (محمود) و(عبير) معه .. جلس على الأرض وجلست هى على الفراش كما أمرها ، وقال لها وهو يتأمل السكين :

- « مجنونة ! أنت مجنونة .. كنت ستقتلين أمى .. كل سكان جزيرتكم مجانين »

- « ما كنت لأقتلها .. فقط أردت أن أضمن حياتى .. »

- « لاخطر على حياتك يا بلهاء .. أنا لا أقتل النساء ، خاصة إذا كن معدومات الحيلة حمقاوات .. »

- « ظننت أننى سمعت كلامًا عن الخلاص منى .. وعن الحقيبة التى ستوضع فيها جثتى .. »

- « كل هذا هراء .. لقد عانيت الكثير من الألم حتى أذبح هذه الدجاجة ! إن (شفيق) و(محمود) كانا يتكلمان فى جنون الصدمة ، لكنهما مثلى لا يقدران على ارتكاب جريمة قتل باردة .. »

وفتح الحقيبة ، ففوجئت (عبير) بأنها غارقة بالدم من الداخل ، وكانت هناك دجاجة مذبوحة .. منظر غريب لا يخلو من البشاعة ولكن لماذا ؟ قال لها :

- « هذه هى مشكلة أن يكون المرء قائد مجموعة ثورية .. لا يمكن أن يبدو واهن القلب .. لابد أن يقتنع الجميع بأننى تخلصت منك ، وأن الخطر زال .. »

نظرت له فى عدم فهم ، فهز رأسه مؤكدًا :

- « نعم .. كما تتوقعين بالضبط .. سأحشو ملاءة ببعض الأثقال والأقمشة القديمة وألطخها بدماء الدجاجة ، ثم أضعها فى الحقيبة .. عندما يعود

صديقاى ليلاً سيجدان أننى سبقتهما بأداء المهمة بنفسى .. سيصدقان ما أقول .. لا داعى لفتح الملاءة لأن المنظر ليس جميلاً .. ولسوف نذهب للخلاص من الجثة فى جبل المقطم ، بينما تكونين أنت قد رحلت .. »

ـ « هل تعنى ؟ »

ـ « أظن أننى واضح .. سأطلق سراحك الآن لكن بشرط ...... »

هزت رأسها فى حماسة وهى تبتلع ريقها :

ـ « نعم .. نعم .. ولا كلمة عما رأيته هنا .. »

ـ « لا أدرى إن كان هذا خطأ عمرى ، لكنى سأجرب أن أثق بك .. وأملى أن أجد لدى الإنجليز بعض الشرف ورد الجميل .. أنت لست (اللنبى) على كل حال .. »

من جديد سألته وهى تنتفض انفعالاً :

ـ « لماذا تخاطر ؟ »

ـ « أكرر أننى لست قاتلاً .. أعنى أننى أقتل الجنود فقط أو هذا ما أنوى عمله .. ثم إننى لا أستطيع قتلك أنت بالذات لأن ..»

ولم يكمل فكأنما قال كل شىء .. وهمست (عبير) فى سرها : كنت على حق .. لابد من أن أقع فى حبه أو يقع فى حبى كما يحدث فى الأفلام .. لكنى لن أعلق لأنه لا وقت عندى لهذا الهراء ..

قالت له وهى تنهض وتبحث عن حذاءيها اللذين لم ترهما منذ شهر :

ـ « هل أرحل الآن ؟ »

نظر للضوء الذى خبا متسللاً من النافذة ، وقال :

ـ « دنا الليل .. يمكنك الرحيل فعلاً .. وأنا أعتمد على كلمة شرف منك .. فهل تعدينني ؟ »

ـ « أعدك .. تبًا ! لقد انتفخت قدماى من طول الحفاء .. أم لعله الحذاء قد انكمش ؟؟ »

ـ « لو مشيت فى الشارع الرئيسى حتى نهايته لوجدت ثكنات الجيش الإنجليزى .. هم سيعنون بك .. »

واتجهت نحو الباب ، وودت لو تسأله عن مرآة .. إنها لم تر وجهها فى المرآة منذ شهر ، كما أنها ظلت بالثوب ذاته .. لابد أن منظرها يصلح للتسول .. لكن لا يهم .. متسولة حية خير من أميرة ميتة ..

وعبرت الصالة متجهة للباب فلم تسألها الأم عن شىء ..

* * *

٩ ـ مأزق ..

أما ما لم تره (عبير) فهو أن الصديقين الآخرين عادا عند منتصف الليل .. كانا مرتبكين ، وكان (شفيق) أول من تكلم :

ـ « (محمود) .. لا أريد أن أبدو (طريًا) .. لكن هذه الفتاة لم تفعل شيئًا لنا .. ليس ذنبها أن قومها أوغاد .. »

وفرك (مصطفى) يديه فى توتر وقال :

ـ « أنا .. أنا عنيف متوحش كما تعرفنى .. لكن من العار أن يقال إننى .. قتلت امرأة .. هات لى (اللنبى) نفسه لأصنع منه عجينًا .. لكن .. امرأة .... »

ابتسم (محمود) ابتسامة غامضة .. كان يتوقع شيئًا كهذا لكنه لم يضمنه تمامًا ، وعلى كل حال صار على هؤلاء الفتيان أن يذوقوا نصيبهم من الخدعة ..

- « تأخر الأمر يا صديقىَ .. لقد فعلتها منذ ساعة ! »

ابيض وجها الشابين وجف ريقهما .. وقالا بصوت واحد :

- « أنت ؟ أنت فعلتها ؟ ولماذا لم تقل لنا ؟ »

- « لأننى توقعت أنكما ستقولان ما تقولان الآن .. »

وأشار إلى الحقيبة العملاقة الموضوعة على باب غرفة الفتاة .. وقال :

- « هى بالداخل تنعم بسلام تام .. هل ترغبان فى رؤية الجثة ؟ لا ؟ توقعت هذا .. لقد قمت بتنظيف المكان جيدًا ولم تسمع أمى صوت الصراخ .. والآن من يساعدنى على التخلص منها ؟ »

تبادل الصديقان النظرات ، ثم اتجها إلى الحجرة ليقوما بالمهمة الكريهة ..

المهمة التى لا يعرفان أنها دفن بعض قوالب القرميد ودجاجة مذبوحة ..

* * *

قال الضابط الإنجليزى لـ (عبير) وهو يتأملها بعمق من خلال سحب الدخان :

- « مازلت مصرًا يا آنسة (ثورنوايلد) على أنك تستطيعين مساعدتنا .. »

هزت رأسها مرارًا وقالت وهى تتحاشى عينيه الزرقاوين الحادتين :

- « لا أستطيع .. الأمر هين .. لقد كانت عينى معصوبة فى الذهاب والإياب .. »

- « ولم تسمعى بعض الأسماء ؟ لابد أنهم تبادلوا بعضها .. »

- « كانوا يستعملون الأرقام فى التفاهم .. وإن كنت أعتقد أن أحدهم يدعى (محسن) .. نعم .. هو كذلك .. (محسن) .. كما أننى سمعت صوت قطار يمر جوار البيت أكثر من مرة ويرجه رجًا .. كان البيت جوار خط القطار .. »

نظر لها نظرة ثاقبة .. هذه الفتاة تكذب .. فليقطع

ذراعه إن لم تكن تكذب .. لكن لماذا ؟ وكيف يثبت هذا ؟ المفترض أنها من مواطنى التاج ومطلقة الولاء ، ولسوف يهينها أن اتهمها بشىء ..

قال وهو يدون ما قالته :

ـ « هذه معلومات مهمة للغاية .. كل ما علينا هو البحث عن شاب يدعى (محسن) يعيش قرب السكك الحديدية .. أنت تسهلين حياتنا يا آنسة .. »

ـ « هذا هو هدفى الأوحد .. »

مرت لحظات من الصمت .. لحظات ثقيلة الوطء على الأنفاس والروح ، وقد ثبتت نظرها على النافذة ذات القضبان الحديدية وراءه ، حيث كانت ترى الفناء الخلفى ، والخيول الواقفة تشرب من حوض الماء ، وحيث كانت مجموعة من الجنود المصريين يقفون صفًا ، بينما عريف إنجليزى يصدر لهم الأوامر ..

أخيرًا قال لها الضابط وهو يصفق بيديه :

ـ « ثمة شىء أرغب فى أن تريه .. »

بعد ثوان ظهر جندى وأدى التحية ، فأمره الضابط وهو يرمقها بعينين لا تطرفان :

ـ « هات السجين .. »

رفعت رأسها لترى من أحضره الجندى .. فى البدء لم تتعرفه من وجهه المتورم والدماء الجافة الملتصقة به .. كان الأمر يبدو غير حقيقى فهى لم تر هذا التشوه من قبل إلا فى السينما ، لكن الأمر واضح لا شك فيه ، وحقيقى تمامًا .. هذا رجل تم استخدامه كمضرب (هوكى) ، أو أداة يتمرن بها (كينج كونج) على الوثب ..

وبرغم كل هذه المؤثرات فإنها تذكرت الوجه سريعًا .. هذا (مصطفى) ! (مصطفى) الفتى شديد المراس الذى كان يتمنى أن يواجه بريطانيا فى مباراة ملاكمة .. ويبدو أن حلمه تحقق .. جدًا !



رفعت راسها لترى من أحضره الجندى .. فى البدء لم تتعرفه من وجهه المتورم والدماء الجافة الملتصقة به ..

التقت عيناه بعينيها .. لكن عينيه لم تتوهجا ولم يبد عليه أنه عرفها .. يبدو أنه ما زال يهيم فى عوالم الارتجاج المخى الرحبة ، ولربما هو ينزف داخليًا أيضًا ..

ـ « هل تعرفين هذا الحيوان ؟ »

مطت شفتها السفلى بمعنى أنها لا تعرف .. وأردفت وهى تعيد النظر إليه :

ـ « حتى لو كنت أعرفه فمن العسير أن أفعل هذا الآن .. »

قال الضابط وهو يواصل التدقيق المزعج فى وجهها :

ـ « منذ شهر أو أكثر شوهد فى مظاهرة 8 إبريل الشهيرة ، وقال رجالنا إنه واثنين آخرين كانا يحملان شيئًا ملفوفًا .. شيئًا يشبه الجسد البشرى .. وقد حاول رجالنا اللحاق بهم لكن الزحام كان

مستحيل التجاوز .. لا أدرى لماذا اعتقد أنهم كانوا يحملون صحفية إنجليزية .. »

ونهض وقد وضع عصاه تحت إبطه وراح يدور حول الفتى كما يفعلون فى الأفلام :

- « اليوم شاهده نفس الملازم وهو يحمل رزمة من الأوراق .. اتضح أنها منشورات معادية لنا ، وقد حاول أن يلعب دور الأقوياء لكننا لقناه درسًا قاسيًا .. أليس كذلك يا .... »

وهوى بالعصا على وجه الفتى بأقصى ما عنده وهو يكمل سؤاله :

- « ... وغد ؟! »

أجفلت (عبير) لأن الضربة كانت فى غير موضعها وغير منتظرة على الإطلاق .. وهى لاتتحمل أن ترى خصمًا مقيدًا يُضرب حتى لو كان من الراغبين فى قتلها .. على كل حال لم يعد الفتى

يتألم .. لقد أرهق جهازه العصبى بحيث لم يعد يشعر بالمزيد ..

صاحت وهى تهب من مقعدها :

- « لم يفعل شيئًا أيها العقيد .. لم يكن بين من خطفونى .. أشياء كهذه لاتُنسى »

- « متأكدة ؟ »

- « حتمًا .. »

هوى بضربة أخرى - على سبيل التخمة السادية - على وجه الفتى ، ثم أشار للجندى كى يبتعد به ، وقال لها :

- « إنه كالقبر لايتكلم ، ولايعطى أية أسماء .. على كل حال ، لديه من المتاعب ما يكفيه .. إن اسمه (مصطفى زاهر) .. طالب فى مدرسة المهندسخانة .. و ... »

- « الحقوق .. طالب فى الحقـ .... »

يا للمصيبة ! هذا هو انزلاق اللسان الذى يورد المرء مورد المهالك .. فقط لتأمل أنه لم يلحظ ما قالت ، وبسرعة سألته كى تغير اتجاه تفكيره :

- « ماذا حدث فى أحوال السياسة فى أثناء خطفى ؟ »

فكر قليلاً ، ثم قال وهو يشعل لفافة تبغ أخرى :

- « لا شىء .. المصريون يشعرون بأنهم خدعوا فى (فرساى) ، و(سعد زغلول) يحتج .. إن اللورد (كيرزون) وزير المستعمرات ينوى إرسال لجنة للتحقيق إلى مصر لمعرفة أسباب الثورة ، ويبدو أن هناك نية لتحسين أحوال الموظفين لاسترضائهم .. »

- « إنهم يريدون الخلاص منا .. هذه هى أسباب الثورة .. يمكنكم توفير نفقات اللجنة »

- « الاستقلال .. الاستقلال .. هذا هو كل مايفكرون فيه .. إنهم مملون حقًا أولئك المصريون .. »

قالت (عبير) شاردة وهى تسترجع خيط الأحداث السابقة :

- « الحق أننا خدعناهم .. آلاف الأفارقة والهنود ماتوا من أجل حربنا كى تنتصر إنجلترا وفرنسا على المحور .. وكل هذا طمعًا فى الاستقلال وفى أن نتركهم وشأنهم .. بعد الحرب اتضح أنه لا استقلال هناك .. بل اتضح لهم أن المحافل الدولية لم تسعفهم ، وإنما أضفت صفة رسمية على الاحتلال .. »

عيناه تتأملانها فى عناية مرعبة .. أتراها أفرطت فى الكلام ؟ لماذا لا تخرس ؟ قالت له مفسرة :

- « معذرة .. لكنى صحفية .. والصحفى مهمته الحقيقة بصرف النظر عن اعتبارات السياسة .. »

- « وأنا عسكرى .. وأخدم السياسة .. والسياسة تقول إن على المرء التنازل عن المعايير الأخلاقية أحيانًا من أجل أهداف أسمى .. هذه هى الميكيافيللية ..

جميل أن نهتم بأمر شعوب المستعمرات ، لكن الأجمل أن نهتم بالمواطن البريطانى .. »

* * *

تمشى (عبير) فى شوارع القاهرة التى بدأت تهدأ ، لكنها هادئة هدوء من ينتظر النهوض ثانية .. فيما بعد سيموت (محمد فريد) فى منفاه ، وينفى (سعد زغلول) إلى (سيشل) وتتجدد الاضطرابات ، لأن الثورة لم تنته بعد .. تتأمل (عبير) الباعة الجوالين ، والموظفين الجالسين على المقاهى ، والأطفال الذين يلهون فى الأزقة ، والنساء المنقبات الماشيات على عجل فى الطرقات .. تمر أمام فندق (كونتنتال) لترى رجل دين مسيحيًا يخطب فى الناس .. يقول لهم :

ـ « الإنجليز ليسوا مسيحيين بل هم مجرد كفرة لايعرفون الله .. لأن الذى يقتل الشباب الهاتف من أجل بلده كافر ..»

فيصرخ فيه بعض الناس :

ـ « كفى يا أبانا .. سيقتلونك يا أبانا ! »

ـ « دعهم يقتلوننى كى تتطهر أرض مصر بدمى وتحل بها بركة الرب .. »

كان هذا ـ وإن كانت (عبير) لا تعرف ـ هو القمص (مرقص سيرجيوس) .. الثائر الغاضب وصداع البريطانيين ، الذى اعتاد أن يخرج من كنيسته فى الفجر ، ليقابل رفاقه الثائرين فى الأزهر ومنهم الشيخ (محمود أبو العينين) و(على الغاياتى) .. ولسوف يضطر الإنجليز إلى نفيه لإسكاته ..

وفى ذهنها تتردد العبارات فى تكرار يحطم الأعصاب ، حتى لتتمنى لو نسف رأسها ليخرس هذا الضجيج :

« .. أما هذه الثورة فولدت من الشارع .. من الفلاحين والموظفين والطلبة .. إنها ثورة بالمعنى الحقيقى للكلمة ، وقد أحدثت أعاصير فى كل شىء ..

فى السياسة .. فى الأدب .. فى الفن .. فى طريقة تفكير الناس .. »

* * *

« كان هذا مفهومًا فى أثناء الحرب ، وكانت الضرورات تبيح المحظورات .. أما الآن فلم يعد ثمة مبرر لبقاء مصر تحت سيطرة التاج البريطانى .. لقد أعلنت بريطانيا الحماية على مصر دون أن تستشار مصر فى الأمر .. وبالتالى هى حماية باطلة قانونًا .. »

* * *

« معلش .. إنه يدور يجمع التوكيلات منذ الصباح ولعله ما زال على لحم بطنه .. مسكين ! »

* * *

Open Fire !! Don`t Shoot low !

* * *

« لا أدرى .. لو أن واحدًا من هؤلاء المتمردين كتب عن الموضوع لما كتب غير هذا .. يصعب على أن أحدد انتماءك من مقال كهذا .. كنت أتمنى المزيد من عبارات السباب .. هل تفهمين ما أعنيه ؟ »

* * *

« لا داعى للادعاء .. أنت رأيت ما تحت الفراش .. لا تنكرى هذا .. لقد رأيت الصندوق بينما كنت أطارد الفأر ، وعرفت أنك فتحته ورأيت ما به !! »

* * *

ـ « لماذا ؟ ليس هناك دم أغلى من دم .. ولا روح أثمن من روح .. أنت لست أهم من كل من ماتوا من رجالنا ونسائنا .. »

* * *

ـ « كل بيت صار جزءًا من الثورة .. لم يعد بيت مغلقًا على نفسه .. حتى ربات البيوت اللاتى لم يرين الشمس قط ، صرن يفتحن بيوتهن ليخفين الهاربين والجرحى .. إن قومك قد أحدثوا تطورًا رهيبًا فى سلوكياتنا .. »

* * *

« وأنا عسكرى .. وأخدم السياسة .. والسياسة تقول إن على المرء التنازل عن المعايير الأخلاقية أحيانًا من أجل أهداف أسمى .. هذه هى الميكيافيللية .. جميل أن نهتم بأمر شعوب المستعمرات ، لكن الأجمل أن نهتم بالمواطن البريطانى .. »

* * *

ولا تدرى كيف ولا متى حملتها قدماها إلى ذلك الزقاق الضيق ..

الزقاق الذى يعيش فيه (محمود) ...

* * *

١٠ ـ من أجل قتلكم ..

فتح الباب ليجدها أمامه .. لو أنه رأى كل شياطين جهنم .. لو أنه رأى الجيش البريطانى آتيًا لاعتقاله .. لو أنه رأى (اللنبى) شخصيًا ؛ لما امتقع وجهه بهذا الشكل .. لقد صار وجهه بلون الورقة تقريبًا ..

ـ « تبدو كأنما رأيت شبحًا .. »

ـ « أسوأ من هذا .. »

ثم نظر من وراء كتفها ، واختلس نظرة من وراء كتفه .. كأنما يتأكد من أن الشرطة ليست وراءها ، وأن ما بداره لم يتبد لعينيها .. وهمس :

ـ « لا أستطيع أن أسمح لك بالدخول .. إن أصدقائى هنا .. »

ـ « هذا واضح .. وهم يحسبوننى مت ولا يجب أن يجدونى حية »

ـ « ليس (شفيق) و(مصطفى) من أعنى .. لقد اعتقلا اليوم .. إن من بالداخل نوع مختلف من الأصدقاء »

ـ « أعرف .. وأنتم الآن تعدون العدة للانتقام منا .. »

كان يلبس قميصًا وبنطالاً ، لكنها أدركت أن الانبعاج الموجود تحت إبطه هو مسدس .. لقد دخلت الثورة مرحلة جديدة إذن .. ابتلع ريقه وفكر قليلاً ، ثم قال :

ـ « اسمعى .. لا أعرف لعبتك ولا يهمنى أن أعرفها .. فقط لا يمكن أن أسمح لك بالدخول .. »

قالت فى ضيق وتحدٍ :

ـ « حسن .. يمكنك إذن قتلى لأننى سأملأ الدنيا صراخًا .. سأذهب إلى الثكنات وأعود بآلاى كامل .. إن ما أطلبه هو أن أكون معكم وأن أعيش هذه التجربة .. »

ثم استدارت مبتعدة .. وكما توقعت صاح يناديها :

ـ « تعالى هنا أيتها الحمقاء ! »

عادت له فأدخلها من باب الشقة ، وقالت له وهو يغلق الباب :

ـ « سأعود سالمة .. لقد تركت مذكراتى فى الفندق ، وهى تحكى بالتفصيل قصتى معكم .. لو لم أعد سيقدمها موظف الاستقبال للحاكم العسكرى البريطانى .. سيروق له الأمر كثيرًا ! »

ـ « أنت تفكرين فى كل شىء .. »

ثم عاد يسألها فى غيظ بطريقة الهمس الجهير :

ـ « ماذا تعتقدين ؟ ليست هذه مسرحية لـ (شكسبير) .. ولن يسر أحد بقدومك .. إن موقفى سيكون غاية فى السوء .. »

كانت تكذب .. لكنها كانت مضطرة لهذا ، لأنها لن تجازف ثانية مع شخص مسلح ، ومع رفاقه الذين لاتعرف من هم ، لكنها كانت تشعر بحاجة ماسة إلى أن تكون معهم ، وأن تسمعهم يتكلمون ..

لم تكن الأم فى الصالة ، ووجدت نفسها تدخل غرفة أخرى لم ترها من قبل ، يبدو أنها غرفة نوم الفتى نفسه .. كان هناك فراش صغير ، ومكتب بحجم علبة الثقاب عليه عدد هائل من الكتب ، وكان هناك عدد لا يقل عن الخمسة من الأخوة .. اثنان منهم يبدو أنهما من الحرفيين ، عرفتهم من ثيابهم البسيطة المتسخة وأيديهم الخشنة .. وكان دخان التبغ يجعل الغرفة كأنها مرجل سفينة .. وعلى الأرض كان تلك الصندوق الذى قابلته أول ما جاءت هنا ..

كان دخولها الغرفة شبيهًا بدخول ابن عرس إلى بيت الدجاج .. لم تر دهشة ولا رعبًا ولا ذهولاً أكثر مما أثاره مرآها لديهم ، وتحفزوا جميعًا ..

لكن (محمود) قال وأذناه الآن فى لون الدم من فرط الحرج :

- « لا تخافوا .. إنها الآنسة (ثورنوايلد) وهى منا .. إنها تعمل معنا ! »

كان هو الآخر يكذب .. لكنه كذب ضعيف خاو ليس

ببراعة كذبها .. وقال أحد الرجال وهو يرمقها بحذر كأنها ثعبان وجده فى الحمام :

- « إنها إنجليزية .. ما معنى أن تدخلها هنا ؟ هل جننت ؟ »

قال (محمود) وهو يحاول ألا يفقد الوعى :

- « بل هى أمريكية ، وهى تؤمن بقضيتنا وتحب (سعد زغلول) .. صدقونى لا خطر من وجودها معنا .. »

لما رأى عدم التصديق فى العيون صاح فى عصبية :

- « صدقونى ! إن رأسى هو أول رأس يطير لو كان كلامى خطأ .. ثم إن الإنجليز لا يرسلون نساءهم للتجسس على الفدائيين .. ليسوا بهذه الحماقة .. »

احتاج الوقت إلى برهة لا بأس بها حتى بدأ الرجال يقبلون وجودها أو بالأحرى ينسونه .. وأخيرًا عاد (محمود) يتكلم وهو يوجه كلامه إلى شاب نحيل يضع عوينات سميكة وله شارب كشارب (مصطفى كامل) :

- « كما كنت أقول .. بعد اعتقال (مصطفى)

و(شفيق) لن آمن لحظة ألا تصل الشرطة إلى دارى .. هذا وارد برغم أن الفتيين لن يتكلما ، لكنى لا أعرف أى مدى يمكن للتعذيب عنده أن يقهر الإرادة .. »

تمنت أن تقول له : إن (مصطفى) لم يتكلم ، ومن الواضح أنه لن يفعل ثم آثرت الصمت ..

واصل (محمود) الكلام :

- « لا بد من نقل هذه الأشياء إلى ورشة (عثمان الطوبجى) .. »

قال (عثمان) وهو أحد الحرفيين اللذين خمنت (عبير) مهنتهما بمجرد النظر :

- « أنا موافق .. لكن هل أنت متأكد من أنها لن تنفجر من الحر فى الورشة ؟ »

قال الفتى النحيل :

- « لن يحدث شىء .. هذه الزجاجات تحوى حمض البكريك والكبريتيك وكربونات البوتاسيوم .. لا خطر منها طالما لم تخلط بالمقادير التى قلتها لكم .. »

قال (محمود) فى ارتياح :

- «(سيد) طالب علوم ..ويعرف تمامًا مايتكلم عنه ..»

فيما بعد ستعرف (عبير) أن (سيد محمد باشا) طالب يدرس الكيمياء .. وكان الفدائيون بحاجة إلى السلاح ليقتلوا الإنجليز ، ولم يكن الرصاص متاحًا لهم ، حتى إن الفدائى كان يحصل على خمس رصاصات بشق الأنفس ، فيتدرب على الرماية باثنتين منها ، ويدخر ثلاثًا لقتل الإنجليز ! لذا فكروا فى صناعة القنابل .. وكانت هذه القنابل البيتية هى ما تفتق عنه ذهن طالب العلوم ..

أما دور الحرفيين فى الموضوع ، فكان تقطيع مواسير المياه ثم لحام أحد طرفيها وحشوها بالخليط ، ثم يغلق الشباب الطرف الآخر .. ويذكر التاريخ اسمين هنا هما الأسطى (عثمان الطوبجى) والحاج (أحمد جاد الله) .. كلاهما عامل خراطة فى الترسانة .. ومن الغريب أنهما الآن فى ذات الحجرة معنا !

وكان لهذه القنابل البيتية سمعة سيئة ، هى أنها لاتنفجر غالبًا حين تريدها أن تنفجر ، وتنفجر دائمًا

حين تكون فى جيبك أو فى يدك .. لكن لم يكن هناك بديل آخر ، وقد قبل الثوار هذا الخيار ..

أما عن التدريب على إلقاء القنابل ، فكان يتم فى الغابة المتحجرة فى (حلوان) .. الحقيقة أن هؤلاء الفدائيين كانوا شجعانًا ، لكنهم لم يكونوا قد تمرسوا بعد فى العمل السرى .. وقد سقط منهم كثيرون فى أيدى الإنجليز ..

نعود لموضوعنا ..

حمل الأسطى (عثمان) الصندوق ، وودع الجالسين ، وكذا نهض الجميع .. وعرفت (عبير) أن الرجال سيرحلون متفرقين كى لا يثيروا التساؤلات .. كما فهمت أن أحدًا لن يزور (محمود) ثانية هنا ، لأن ورقته صارت مكشوفة أو توشك على أن تكون كذلك ..

مر نصف ساعة حتى خلت الحجرة تمامًا إلا منه ومنها .. وساد الصمت خمس دقائق أخرى ، ثم قال لها :

ـ « ها قد انتهى الأمر .. أرجو أن تكونى راضية عما رأيت .. »

بدت عليها خيبة أمل لا شك فيها ، وقالت :

ـ « كنت أعتقد أن الموضوع أكثر إثارة .. »

ـ « لو حسبت أننى سأقوم بتركيب القنابل فى بيت أبى كى أثير انبهارك ، فأنت مخطئة .. إن هذه القنابل تحتاج إلى دقة هائلة فى حساب المقادير ، كما أن احتمالات انفجارها عالية جدًا .. ولقد جرب بعض الشباب صناعتها من أكواز يشترونها من عند السمكرى ، فكانت النتيجة أنها انفجرت فيهم .. »

قالت له وهى تبتسم :

ـ « لماذا تفعلون هذا كله ؟ »

ـ « يا له من سؤال ! طبعًا من أجل قتلكم ! هذا غرض شريف على ما أظن .. »

ثم انحنى حتى قارب رأسه رأسها ، كأنما يجعل كلماته أكثر تأثيرًا ، وقال :

ـ « لقد جربنا السياسة فلم تصلح ، والآن على البريطانيين أن يعلموا أن بقاءهم هنا غالى الثمن جدًا ..

سوف تسقط قنابلنا على كل رجل أمن إنجليزى ، وكل عسكرى ، وكل مصرى يتعاون معهم .. »

يوليو 1919 هو بداية تكوين الحركات الفدائية ضد الإنجليز .. لكن هذه المجموعة بدأت مبكرًا على ما يبدو .. ثم إن (محمود) نهض واتجه للباب وفتحه ونظر فى حذر ، ثم قال دون صدق :

- « الآن أرجو أن ترحلى ، ولسوف أكون سعيدًا لو لم أرك ثانية .. وسأكون أسعد لو برهنت على أنك صادقة شريفة ولم تنطقى بحرف عن كل هذا .. »

- « ولا حتى بالتلميح فى مقالاتى دون ذكر أسماء ولا أماكن ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

- « ليس قبل عمليتنا الأولى .. من المفيد ألا يتوقع أحد الصواعق التى ستهوى من السماء لاتبقى ولاتذر .. بعدها يمكنك الكلام والتهويل كما تريدين ..

هذا سيجعل الإنجليز يشعرون بأن مصر جحيم لهم .. ولكن لاتأتى بهم هنا قائلة إنهم ضغطوا عليك .. »

- « لاتخف .. » - قالتها وهى تهبط فى أولى درجات السلم - « إن من حقى إخفاء مصادرى .. هذا حق أصيل لى فى القانون البريطانى ، ولن يعرف أحد إلا ما أقبل أن أصرح به .. »

وحين اختفى عن عينيها ، بدأت تشعر بشعور غريب تخشاه من البداية ..

تبًا أيها الكمبيوتر الأحمق ! كنت متأكدة من أنى سأهيم بهذا الفتى حبًا .. كنت أتوقع هذا وأعرفه لأن هذا هو البروتوكول المعتاد ..

الآن أعرف أننى كنت محقة !

* * *

١١ ـ سوء تفاهم بسيط ..

فى الأيام التالية ازداد انفلات أعصاب السلطة البريطانية إلى حد غير مسبوق ..

قام الجنرال (اللنبى) بنفى كل من (محمود سليمان) باشا و(إبراهيم سعيد) باشا من حزب الوفد ، إلى قريتيهما .. ثم جعل (اللنبى) جنوده يقتحمون (الأزهر) الشريف فى 11 ديسمبر 1919 وهو تصرف مجنون لم يفعله إلا (بونابرت) عندما وقعت ثورة القاهرة ، وكان هذا دليلاً على انفلات أعصابه التام ..

كما أنه ـ (اللنبى) لا (بونابرت) ـ قبض على سكرتير اللجنة المركزية للوفد (عبد الرحمن فهمى) مع سبعة وعشرين آخرين ، وقد حوكموا فى محاكمة شهيرة أدانتهم وحكمت على سبعة منهم بالإعدام .. الحقيقة أن أحكام الإعدام خففت فيما بعد ..

فى هذه الفترة بدأت سلسلة الاغتيالات ..

* * *

هل مر حقًا عام على هذه الأحداث ؟

لم تصدق هذا حتى عرفت أن العام هو 1920 .. فى (فانتازيا) يمر الزمن سريعًا ، ولاتحدث فيه إلا الأحداث المهمة .. فى فترة ما كان مفهوم الواقعية السينمائية هو أن تستغرق الأحداث على الشاشة نفس الزمن الأصلى لها .. ثم فطن الجميع إلى أن هناك نوعًا من الواقعية المنقحة .. إن ذهابك للبقال لشراء علبة ثقاب قد يستغرق ربع ساعة ، فلا معنى لإضاعة ربع ساعة من الفيلم فى هذا الهراء ، وتكفى لقطة واحدة عند البقال تظهرك وأنت تبتاع الثقاب .. نفس الشىء فى (فانتازيا) .. لا داعى لسرد عام من التحقيقات الصحفية والحياة المنتظمة .. يكفينا أن نعرف أن عامًا قد مر على الصحفية البريطانية (ثورنوايلد) فى مصر ..

نعود للاغتيالات ..

لقد بدأت أصوات الانفجارات تدوى فى سماء القاهرة .. وصار كل من له علاقة بالإنجليز يركب سيارته فلا يدرى متى تسقط القنبلة على حجره ، سرعان ما يظهر شاب من شارع جانبى ، فيلقى بالقنبلة ويفر .. بينما يفتح

راكبو السيارة أبوابها ويقفزون للخارج .. أحيانًا ينجون وأحيانًا لا .. أحيانًا تنفجر القنبلة وأحيانًا ـ وهو الأرجح ـ لا ..

وكان رجال وزارتى (يوسف وهبة) و(محمد توفيق نسيم) ـ الموالتين لبريطانيا ـ يركبون السيارات فيدفنون رءوسهم تحت مستوى المقاعد ، ويغلقون الزجاج ، ويدعون الله أن يكون عمر السائق أقصر من أعمارهم ..

لم يعد هناك من يقبل أن يصير وزيرًا ، حتى إن بريطانيا رفعت أجر الوزير إلى مبالغ فلكية ..

فيما بعد ـ وفى العام 1922 ـ أطلق الرصاص على (محمد بدر الدين) بإدارة الأمن ، وهو من أهم عملاء الإنجليز .. وقد رسم الناس صورة هذا المشهد ، وراح يباع فى الشوارع ، ويعلق فى البيوت كأنه نوع من البركة !

ولم تدر (عبير) مدى تغلغل هذه العمليات إلا حين واجهت واحدة منها ..

* * *

كانت تركب فى مؤخرة العربة الكارو التى تخضها كالجبن عبر شوارع (شبرا) ..

كانت منهكة لم تنم ليلاً ، وقد انهمكت فى ألف عمل وعمل .. وبعين ناعسة تتأمل المعسكر البريطانى فى جزيرة (بدران) .. رأت ضابطًا بريطانيًا رفيع المقام يخرج من المعسكر ، فيضرب له البروجى .. ثم ينحنى السائق ليفتح له الباب .. وكعادة الضباط وقف الضابط منتصب القامة دافعًا صدره إلى الأمام ونقله إلى الوراء ، وعصا المارشالية تحت إبطه ، وراح يدور بعينيه يمينًا ويسارًا فى شموخ .. قليل من (الطاووسية) لن يضر أحدًا قبل ركوب السيارة ..

فى اللحظة التالية رأت .....

الشاب الذى خرج من مكان ما ..

كان يحمل شيئًا كأنه قطعة من ماسورة مياه ..

وثب إلى جانب السيارة .. قذف بما يحمله من الزجاج المفتوح ..

ومرت ثانية .. لم يحدث شىء ..

لم تنفجر القنبلة .. تصرفت كأية قنبلة بيتية أخرى ، وأثبتت أنها بنت أصل لا تشذ عن المجموع ..



فمدت يدها نحوه صارخة :
- «اركب يا (محمود) !! بسرعة !!» ..

وفى اللحظة التالية لتلك التالية ، خرج القائد من السيارة وأطلق سبة إنجليزية ، ومد يده إلى حزامه ليخرج الطبنجة .. « هلم يا وغد .. سأنال منك ! »

طاخ ! دوت الطلقة .. الشاب يركض فى الشارع يترنح ، وهو يجر ساقه خلفه .. طائر عنز كسرت ساقه وهو يتواثب محاولاً الفرار من الصياد ..

الأدهى أن رجالاً كثيرين يخرجون من المعسكر ليروا ما يحدث ..

لم تصبه هذه المرة ، والفتى كان قد صار الآن جوار الحنطور ، فمدت يدها نحوه صارخة :

- « اركب يا (محمود) !! بسرعة !! »

ولم يكذب الفتى خبرًا ، بينما صرخ العربجى محتجًا :

- « لن أسمح لهذا بالركوب .. حتودونا فى داهية !! »

وهنا حل الإنجليز المشكلة بعبقرية ، إذ خرج صفان من الجنود وراحوا يطلقون وابلاً من الرصاص على الحنطور ، فلم يجد العربجى مناصًا من إلهاب جواديه بالسوط .. وراح الحنطور يترجرج مبتعدًا بسرعة البرق ..

- « كان يومًا أسود ! كان يوم نحس ! ليتنى لم أمر من هنا ولم أر وجهك القبيح ! »

كان الرجل يولول وهو يلهب ظهر جواديه ، بينما (عبير) تمكنت تمامًا من إركاب (محمود) .. وهنا دوى صوت انفجار مروع .. لقد انفجرت القنبلة أخيرًا .. لعلها أصابت واحدًا أو اثنين ولعلها لم تفعل .. لن نعرف أبدًا ..

- « در عند اليمين ، وأنزلنا بسرعة ! يمكنك أن تغيب وسط الزحام بعدها .. أما نحن فلن نكون معك لنجلب الشبهات ! »

كانت هذه من (محمود) الذى كان فى حال طيبة برغم ساقه التى كانت تنزف باستمرار ، وقررت (عبير) أن تمارس دور الأنثى ، فأخرجت منديلاً وربطتها به ..

أخرجت من حقيبتها بعض العملة وناولتها للعربجى من الخلف ، فقال وقد شعر بلمستها :

- « لا ! أنا لا آخذ مالاً من الفدائيين .. كل ما أطلبه هو أن يبتعدوا عنى ، ولا يخربوا بيتى ! »

وتوقفت العربة ، فوثب الفتى منها ، وخلفه وثبت (عبير) .. الحق أن الفتى كان يجرى بسلاسة لا بأس بها ، وبدا أن العرج يناسب صحته .. كان هذا زقاقًا ضيقًا مسقوفًا يشبه إلى حد ما الزقاق الذى كان يعيش فيه مع أمه .. لكن هذا المكان كان مهجورًا بحق .. فقط كان هناك معمل تخليل وعشرات البراميل المفتوحة مليئة بالطرشى .. وفى نهاية الممر كان هناك باب صغير ارتفاعه متر واحد ..

أخرج مفتاحًا وأمرها لاهثًا بأن تفتح هذا الباب ، ففعلت ..

وفى الداخل كان الظلام دامسًا ، لكن رائحة الحبر جعلتها تخمن أن هذا المكان مزيج من ورشة ومطبعة معًا .. الآن يشعل الفتى عود ثقاب فشمعة لترى أن حدسها كان صحيحًا .. هناك آلة طباعة يدوية صغيرة ، وهناك زجاجات كيماويات وهناك مواسير مقطعة وهناك منشورات .. طبعًا .. فآلة الطباعة هذه لا تصلح إلا للمنشورات ، حتى إنها تعتقد أن اسمها عند الباعة (آلة منشورات) ..

الحق أن محتويات هذا المكان كانت قمينة بإعدام الفتى ست مرات ..

قالت له وهى تجلس على مقعد هناك :

ـ « هذا هو مقركم السرى إذن ؟ ما كنت أعرف أنكم الآن تقيمون فى (شبرا) .. »

ـ « اعتدنا العمل فى (الحلمية) .. لكنى كنت بحاجة إلى أن أكون قريبًا من مقر العملية .. ما كنا لنجد فرصة للابتعاد أكثر لو لم يكن هذا المكان هنا .. »

رفعت ساقه فأراحتها على كومة من المنشورات ، وطوت طرف البنطال لأعلى .. وراحت تتأمل الجرح :

ـ « ثمة رصاصة بالداخل .. لا أدرى إن كان هذا خبرًا جميلاً .. »

قال فى لا مبالاة وهو يريح رأسه للخلف :

ـ « سيأتى الرفاق بعد قليل ، ومنهم من يعرف شيئًا عن الطب .. دعك من هذا الهراء .. واخبرينى .. هل تعتقدين أن القنبلة قتلت الضابط ؟ »

ـ « لا أعتقد .. ربما قتلت جنديًا أو اثنين كانا يقفان بالصدفة جوار العربة .. »

قال فى غيظ :

ـ « هذه هى مشكلة الإنجليز .. إنهم لا يموتون بسهولة .. كالشياطين .. لكنى سأكررها مرارًا حتى يظفروا بى .. أو أقتلهم جميعًا .. »

ثم همس وهو يرتجف انفعالاً وإعياءً وألمًا :

ـ « إلا واحدة منهم ! »

•

كانت تعرف أن هذا سيحدث .. كانت تعرف أن هذا يحدث .. إن الخلطة الكيماوية العجيبة قد مزجت بين روحى الثائر المصرى والصحفية البريطانية لتصنع مزيجًا غريبا ، وما أثار رعبها أنها بالفعل لم تعد تشعر بذرة تعاطف مع بلدها .. إنها تؤمن أن إنجلترا معتدية ظالمة وأن قادتها العسكريين أوغاد ، فلماذا يجب أن تكابر لمجرد أنها ولدت هناك ؟ ولكن كيف؟ هذا حب جدير بفانتازيا .. حب لا مستقبل له .. حب خيالى لايصمد لأى تعقل .. هذا الفتى جواد خاسر ، ونهايته محددة لأنه لن يربح الحرب ضد الإمبراطورية .. لن يربحها أبدًا .. وهى لن تتزوجه ولن تعيش معه فى بلده ..

مرت ثلاث ساعات دون أحداث تذكر .. ثم ..

سمعت الباب يفتح وظهر خيال شخص ضخم على المدخل .. كان ينحنى محاولاً حشر جسده الضخم عبر الباب .. سقط ضوء الشمعة على وجهه فعرفته .. وعرفها على الفور ، فتقلص وجهه فى كراهية ..

هتف (محمود) وهو ينهض من مكانه :

ـ « (مصطفى) ! (مصطفى) هنا .. كيف لم أعرف أنك خرجت من السجن ؟ »

قال (مصطفى) ضاغطًا على كلماته :

ـ « خرجت أمس .. إنهم أطلقوا سراح بعض الطلبة فى محاولة لتهدئة النفوس .. لكن هيهات .. إن النفوس لا تهدأ بهذه البساطة .. »

لاحظت (عبير) أن وجهه مازال متورمًا ، بمعنى أن الضرب لم ينقطع طيلة هذه الفترة ، كما لاحظت أن شعيرات بيضاء نمت فى ناصيته .. حقًا لم يكن الإنجليز يمزحون ..

قال (مصطفى) وهو يغلق الباب خلفه :

ـ « سألت عنك ، فقالوا لى إنك على الأرجح هنا ، وكان علىَّ أن آتى حالاً .. »

ومد يده فى جيبه وأردف :

ـ « كان علىَّ أن أعاقب خائنًا ! »

رأت المسدس فى يده قبل أن يخرجه .. وفهمت ما سيحدث .. صرخت وهبت واقفة كالملسوعة .. تعثرت وسقطت كومة من المنشورات على الأرض .. بينما هتف (محمود) فى عدم فهم :

ـ « (مصطفى) .. عم تتحدث بالضبط ؟ »

ـ « عن الخائن الذى زعم أنه قتل الإنجليزية ، ثم وجدتها حية ترزق وجالسة مستريحة أمام الضابط .. إن اعتقالى تم لسبب واضح ، والآن ها هى ذى هنا .. أى أن كل ما تخيلته فى السجن لم يكن هلوسة .. أنت تعمل معهم من البداية »

ـ « (مصطفى) ! أنت لا تفهـ ... »

ـ « الآن فهمت ! »

وانطلقت الطلقة .. هذه المرة لم تكن مترددة

أو متعثرة .. هذه المرة وجدت طريقها المرسوم إلى القلب .. وتحسس (محمود) صدره للحظة فى غباء ، ثم هوى على الأرض قبل أن يعرف ما حدث له ..

ـ « والآن دور الإنجليزية ! »

لم تنتظر (عبير) لأن المسدس ارتفع نحوها هذه المرة ، ففتحت الباب صارخة ، وسمعت الصفير جوار أذنها .. لكنها لم تنتظر كى تتنهد أو تقول : نجوت بمعجزة .. أو أى شىء من الهراء الذى يضيع الوقت ..

فتحت الباب وراحت تجرى .. اصطدمت ببرميل مخلل فبرميل آخر .. انسكب السائل المالح قوى الرائحة وبلل ثوبها لكنها واصلت الجرى .. فأر وثب فوق قدمها لكنها كانت أكثر منه رعبًا ..

تبًا ! كان هناك من يقف فى مدخل الزقاق يسد عليها الطريق .. لابد أنه صديق (مصطفى) .. لكن أين رآه من قبل ؟

ركلته بقوة فى أسفل ساقه ، ثم فى أعلى بطنه ، وكادت تركض لولا أن سمعت صوته يئن :

ـ « أووووه ! أنت شرسة حقًا يا فتاة ! »

ـ « (المرشد) ؟ ماذا تفعل هنا ؟ »

تماسك ليقف على قدميه وهو يتلوى ألمًا ، وقال :

ـ « آى ى ى ! جئت لأعود بك .. هل هذا ذنبى؟ »

كانت الدموع تبلل عينيها وهى تستند للجدار وتولول :

ـ « أنا المسئولة عن كل هذا .. لقد مات بطل برىء لأنه لم يجسر على قتلى ! مات بيد أعز أصحابه ! »

قال لها وهو يصلح من شأن ثيابه :

ـ « أنتم الإنجليز أس البلاء الذى حط على هذه الأمة .. فلن أندهش من هذا كثيرًا .. وعلى كل حال إن شعار (فرق تسد) شعار بريطانى صميم .. صحيح أنك لم تتعمدى شيئًا لكنك فعلت ما فكر به كبار المستعمرين .. »

ـ « والثورة ؟ كنت أتمنى أن أرى نجاحها .. »

ـ « هذا حديث يطول .. لكن كفاح الشعب استمر طويلاً فلم يظفر بالاستقلال الحقيقى إلا بعد ثورة 23 يوليو .. إن هذه أيام صاخبة ، ولسوف تتغير وزارات

وتتوالى الاغتيالات وينفى (سعد زغلول) إلى (سيشل) ، لكن حزب الوفد صار هو الحزب الأكثر شعبية والقادر على تحريك الجماهير .. ولسوف يعمل له الملك والإنجليز ألف حساب ..

« لقد حركت الثورة الشعب المصرى بكل طبقاته ، ومهما حاول الإنجليز قهرها فهى لاتقهر .. لاتقهر فى السياسة ولافى الفنون ولافى الاقتصاد ولا فى الطب .. يمكنك أن تعتبريها ولادة متعسرة مريرة خرجت بها مصر إلى العالم الحديث ..

« بالمناسبة .. لقد توفى القائد البريطانى الذى ألقى عليه (محمود) القنبلة .. إن الأحمق لم يكن قد ابتعد عن السيارة كثيرًا حين قررت القنبلة أن تنفجر .. يمكنك - على سبيل إراحة النفس - أن تعتقدى أن (محمود) مات فى أثناء عملية التفجير الناجحة تلك .. »

قالت له وهما يتجهان إلى نهاية الزقاق حيث ترى شوارع (شبرا) وترى رجال الشرطة ينتشرون ، باحثين عن قاذف القنبلة الأخيرة :

- « لقد فقدت حبًا عظيمًا والسبب سوء تفاهم سخيف .. »

- « لا لوم على أحد .. لا على القاتل ولا القتيل ولا عليك .. إن هذه المواقف العبثية تحدث كثيرًا ، ولو زرنا يومًا عالم (ألبير كامى) لوجدت أكوامًا منها .. »

- « فقدت مصر بطلاً .. »

- « لكنها خصبة ولادة .. ولسوف تأتى بعشرات من بعده .. والآن دعينا ننس هذه المأساة ونرحل .. »

نظرت له ولم تقل شيئًا ..

* * *

يتوهج الكشاف العملاق طابعًا صورة الوطواط فوق سحب (جوتام سيتى) ، ومن الواضح أن سماء تلك المدينة التعسة لا تصفوا أبدًا .. إنهم ينادون الوطواط .. فهل يلبى ؟

ولو لبى فما دور (عبير) فى هذه القصة العجيبة ؟

دعنا لانثرثر كثيرًا .. فقط اقرأ الكتيب القادم لتعرف .

* * *

برغم أننى ما زلت أجد كتابة مراجع لقصة روائية أمرًا غريبًا ، إن لم يكن سببًا لذعر القارئ وفراره ، إلا أنه لابد من ذكر الكتب المهمة التالية :

- **أيام لها تاريخ** : أحمد بهاء الدين . مكتبة الأسرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1995
- **دراسات فى ثورة 1919** : د. حسين مؤنس . اقرأ (418) . دار المعارف بمصر . 1976
- **سجين ثورة 1919** : د. محمد مظهر سعيد . اقرأ (316) . دار المعارف بمصر . 1969
- **مصطفى كامل** : فتحى رضوان . اقرأ (390) . دار المعارف بمصر . 1974

[تمت بحمد الله]

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات مصرية للجيب

١٩١٩



د. أحمد خالد توفيق

ثم يستحيل كل هذا جحيمًا وتصرخ النساء ، وسرعان ما يظهر الجنود .. الجنود شقر الشعور زرق العيون الذين يلبسون السراويل القصيرة .. الزى الرسمى للإنجليز فى مستعمراتهم الحارة ، ويصرخ أحد الضباط آمرًا الجند بفتح النار ، وتنهمر الطلقات .. إنه لمشهد لا يصدق .. و (عبير) لم تعتقد قط أن ترى الرصاص يُطلق على مظاهرة بهذا الشكل الفج .. أين الغازات والعصى المكهربة والطلقات المطاطية ؟ الضحايا يتساقطون بالعشرات وتتبعثر الصفوف : كأنما هى مياه جدول ألقى فيها طفل شقى بحجارته ..

مطابع

القصة القادمة
الوطواط

قرش جنيه

الثمن فى مصر ...
ومايعادله بالدولار الأمر...
فى سائر الدول العربية والعالم